

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية

تصدرها مؤسسة الأزهر

في كل شهر عربي

ماعداء شهرى ذى القعدة وذى الحجة

المجلد السادس عشر

المحرر سنة ١٣٦٤

الجزء الأول

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فوزي زكي

الاشتراكات منه

الإدارة

داخل القطر ٢٠٠

ميدان الأزهر

لطابة الجامعة الأزهرية خاصة ... ١٠٠

تليفون : ٨٤٣٣٢

خارج القطر ٣٠٠

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

نمن الجزء الواحد ٢٠ مليا داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر — ١٩٤٥)

فهرس

الجزء الاول — المجلد السادس عشر

الموضوع	صفحة
فاتحة السنة السادسة عشرة	٣
رسالة جلالة الملك المعظم إلى شعبه	٤
كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام في تحية العام الهجرى الجديد	٥
السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة بقلم حضرة الأستاذ مدير المجلة	٨
السنة .. استدارة الزمان	١٢
المشكلة الفلسفية العظمى — التأليه العقلى	١٦
ماتيسر من الفلسفة	١٩
خالد بن الوليد	٢٢
بحوث في التصوف — مسلك العارفين	٢٦
الموجة الرابعة — القدريّة	٢٩
الامير ادور الفيلسوف	٣٣
لغويات	٣٨
علوم القرآن	٤٣
عزة النفس الانسانية	٤٥
تقريظ	٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أشعرنا بوجوب حمده ، وعلى ما أمدنا في خدمة دينه بروح من عنده ،
والصلاة والسلام على خاتم رسله المبعوث للعالمين بعهدده ، محمد وآله وصحبه والقائمين على الأمر
من بعده .

أما بعد فاني أقدم للعالم الاسلامي بهذا العدد فاتحة السنة السادسة عشرة لمجلة الأزهر ،
أخذاً على نفسي أمام الله والناس أن لا آلوها جهداً ، وأن لا أدخر عنها وسعاً ، مستعيناً على
ذلك بما يمدني الله به من قوة ، وما يتفضل به على كتابها الكرام من رداء ، رامياً بذلك الى
خدمة دينه الخفيف على مقتضى ما تستدعيه الحاجة العصرية من بيان ، وما تستلزمه العقلية
الراهنه من بحوث .

ومما نقيم به في مفتتح هذه السنة ، أن نحلى جيد هذه المجلة ، بالرسالة السنوية التي تفضل
حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الاول ، أن يوجهها الى شعبه المخلص لعرشه ، المدين
لذاته الكريمة بمجلائل الايادي ، فقد كشفت في كل كلمة من كلماتها القيمة عما يكنه جلالته
لامته المخلصة من العطف السامي ، والرعاية البالغة ، معيدا بها الى الذاكرة ما وعته من نوارخ
الملوك العظام الذين سمعت بهم شموهم ، وارتقت الى ذروة السودد والمجد ، وكانت حياتهم
خيرا وبركة لها ، بقيت آثارها أجيالا متعاقبة ، مد الله في حياة جلالته ، وأمتعنا بوجوده
الكريم أمدا طويلا ، ملحوظا بالعناية الإلهية . ومحوظا بالرعاية الربانية ، بفضل الله وكرمه .

ويسرنا أعظم المرور أن نعقب هذا النطق الكريم العالي ، بمنا ألقاه حضرة صاحب
الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر بين يدي جلالته بعد
صلاة المغرب في المسجد المعمور ، يوم الاحتفال بالسنة الهجرية الجديدة ، من تلك الخطبة الرفيعة
الشأن ، الجليلة القدر ، التي عودنا فضيلته أمثالها في كل ذكرى من أيام هذه الأمة الكريمة ،
فقد أملى عليه ما وواه قلبه من دين ، وما عمر به عقله من علم ، ما وقع من نفوس سامعيه
أرفع موقع ، وما انشروحت به صدور المؤمنين في يوم له في تاريخ الدعوة الى الحق صحف تنطق
بما لهذا الدين من أثر بالغ في إصلاح النفوس ، وتقويم العقول ، والتفرقة بين الحق والباطل ،
وثل عروش الجاهلية لا في الأمة العربية وحدها ، ولكن في الأمم قاطبة على خلاف بينها في
التأثر به ، ناهيك أنه يعيد الى ذاكرة الناس أنه أول يوم لقيام دولة الحق في الأرض .

رسالة جلالة الملك المعظم إلى شعبه

شعبي المحبوب :

منذ خاطبتكم المرة الأخيرة ، مرت بنا أوقات عصيبة تلاحقت فيها الحوادث سراعا ، فكنت أخلو إلى نفسي ، وأتجه إلى ربي ، أسأله أن يحفظ بلادنا العزيزة ، وأن يرفع عن كاهل الإنسانية شرور الحرب ، ويعيد إلى العالم عصر سلام قائم على العدالة والتعاطف والوئام ، وقد أذن الله بالنصر للدول الديموقراطية التي تتحد فأيتنا وغايتهم ، وقريبا تنطلق الأمم من عقل الآلام والمحن .

فلنا اليوم أن نغتنب ، وأن نحول الأنظار إلى فجر مستقبل تمد فيه الحرية روافدها على الجميع . وإن من بواعث سروري أن أتحدث إليكم ونحن نستقبل العام الهجري الجديد ، الذي نحفظ له أكرم الذكريات ، لما يتعمل في الهجرة من معاني البطولة الخالدة للنبي الأمين . لقد كانت الهجرة مبدأ تاريخ لعصر جديد ، عز فيه الحق ، وتحررت النفوس من ذل العبودية . فلننخذ من تاريخ الهجرة عظة وعبرة ، ولنستلهم منها كل معنى كريم ، يؤهل للحياة الحرة الكريمة .

وإنه ليسعدني أن أهنيئكم والأم الإسلامية بهذا العيد المجيد ، وأبعث إلى الجميع بتحياتي الخالصة ، وتغنيات الطيبة ، وأدعو الله أن يحقق للأمم العربية مساعيها في تحقيق الوحدة العربية التي تصبو إليها ، والتي تجمع شملها وتوحد كلمتها ، وتكسيها قوة وأمناً ، ورخاء وطمناً .
بنى وطني :

إن عظمة كل أمة كامنة في روح شعبها ، وإني لأقدر أعظم التقدير ما لشعبي العظيم من المزايا السامية ، وليس من شك في طبيعة الصعوبات التي تنتظرنا بعد الحرب ، والتي تتضاءل بجانبها الصعوبات التي نواجهها الآن ، وستكون أياما نمتحن فيها قوة شعبنا ومضاء عزيمتنا ، ولن يعصمنا من هذه الشدة سوى الإيمان بالله ، والثقة بأنفسنا ، فإنها آية القوة في بناء الأمم . وإني أهيب بكم أن تعملوا لمواجهة المستقبل بملء الثقة حتى نتخطى أشواك العوائق ، وأن تكونوا حول راية الوطن قلبا واحداً وأمة واحدة .

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام في تحية العام الهجري الجديد

سيدى رسول الله محمد بن عبد الله !

عند ما يطل على السكون هلال العام الهجري يذكر المسلمون حادثا من أبسط الحوادث في صوره ، لكننه من أجل الحوادث خطرا في مغزاه وفي أثره ؛ حادث هجرة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من مكة موطن آباءه وعشيرته ، وأول أرض مس جسده تراها واستقبله هواؤها ، وأول مكان اتصل فيه بعالم القدس وبالملا الأعلى وتلقى رسالة ربه على يد ملائكته . يذكرون هذا وما أحاط به ثم يحمدون الله على فضله . فقد وجهته العناية الإلهية هذه الوجهة لينجوا من الشرك وأهله ، ومن ظلم ذوي القربى ، وليجد حرية الرأي والعقيدة في مكان أرحب وعند قوم أشربت قلوبهم حبه ، وملا أنفسهم جلاله ، واستعدوا الذود عن حياض الإيمان ومحاربة الباطل ، وباعوا أنفسهم في سبيل الله ، وهم الذين نزل فيهم « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

يشير حادث الهجرة تصور معركة عنيفة بين الحق والباطل ، والنور والظلمة ، والحلم والجهل ، والايمان والكفر ، والهدى والضلال ، والرشد والغى ، والاستقامة والفجور ، وبين عدد قليل سلاحه الحججة والبرهان ، واليقين والايمان ، وعدد كثير يعتمدون على تقليد الآباء ، ويضعون أصابعهم في آذانهم لئلا تنفذ إليها الحججة ، والأغطية على عيونهم لئلا تبصر نور الحق ، ويعتمدون على القوة . وتمثل أمام النفس صورة الحق يكاد يخنقه الباطل ويتركه على الأرض صريحا لا يقوى على النضال ، وإذا بنفحة من قبل الحق تهب ، وإذا به ينهض وينجو ، وإذا به يكر ويهاجم ، وإذا به يظهر ، وإذا الباطل صريع ، وأهله في الهالكين .

وحادث الهجرة يشعب الفكر ويقسمه ، فينجه الى نواح مختلفة تتصل بآثاره وبصاحبه وبالنور الذي جاء به والكتاب الذي أنزل عليه . وفي هذه النواحي جميعها جمال مشرق يأخذ بالابصار ، ويملك على النفس أمرها ، وتعي العقول دون اكنناها واستقصائه ، وستكشف هذه النواحي للناس شيئا فشيئا ، وتعم الهداية بعد أن تعم المعرفة ، ويدرك الناس السر في أنه كان خاتم المرسلين ، ويدركون سر قول الله سبحانه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

رسول الله صلوات الله وسلامه عليك ! أنت مثال الانسانية الكاملة ، والجامع لأشتات فضائلها ، وأنت مشرق الذات الإلهية ومطلع العلم والمعرفة والحكمة ، أفاض الله عليك ما شاء ، وأفضت على الناس ما هم في حاجة اليه ؛ فخلوت الظلمات ، وأزحت الشكوك والأوهام والشبهات ، وعلمت العلماء أدق نظم السكون ، والمصلحين أكل نظم الاجتماع ، والمشرعين أصالح قواعد التشريع ، وأريت الناس كيف يكون القائد المدرب الرحيم ، ورئيس الدولة العادل الحكيم ، وأريت الناس المثال الكامل للأخلاق الذي يضم القلوب المتنافرة ويجمع بينها ، وينقى القذى من المجتمع ، ويظهره من المظلمين والمفسدين .

وضعت أساس دولة من أقوى الدول وأقومها وأعدلها وأرحمها ، من شعوب مختلفة اللون والجنس واللغة والدين والعادات والطباع والأخلاق ، ووحدت هذه الشعوب وربطتها برباط من الدين والخلق . وعاشت عزيزة مهيبة ما عاشت متمسكة بهديك ، مستضيئة بنورك ، عاملة بكتاب الله وسنتك ، ولم يصبها ما أصابها من الوهن إلا بعد أن نسيت هديك وتركت نهجك وأعرضت عن النواميس الإلهية في الحياة الاجتماعية ، وأعرضت عن قواعد العدل . والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

احتملت ما احتملت من الأذى غير مبال به ، إذ كان الله عنك راضيا ، وتجشمت ما تجشمت في مطاردة الباطل إرضاء للحق ، وكانت هذه الحزن كلها تمر تحمل في طياتها نعم الله ومنحه ، وجوزيت بالحسنى في الدنيا ، وستجزى أحسن ما يجزى به النبيون والمرسلون ، صلوات الله وسلامه عليك .

يا صاحب الجلالة :

يحتفل المسلمون بالهجرة ، وقد أردت أن تكون حفلة الأزهر هي الحفلة التي تحظى بشرف شهودك ، والأزهر الوفي لك ، والمخلص لعرشك ، والصادق في حبك ، تحقيق بهذه الرعاية وجدير بهذا العطف ، وهما هو الأزهر ، علماؤه وطلابه ، يحيون فيك الملك الاسلامي العادل الذي يحب الاسلام والمسلمين ، ويحب الحق ويكره الباطل ويطارده . ويسعدني أن أقول إنك مثال المسلم الكامل في الصبر على ما ينالك من ألم وأذى في سبيل بلادك وفي سبيل الحق ، ومثال المسلم الشجاع الذي لا يهن ولا يحزب ولا يجرع ، ومثال المؤمن بعاقبه الصبر ، وما أعد للصابرين .

وقد قال أحد الحكماء :

لا يحمم العقل ، والدنيا تناس به ما يحمم الصبر في الاحداث والنوب
أبقاك الله وأعزك .

الاحتفال بالعام الهجري

٧

مولاي :

كشف الغطاء عن أعين الأمم فلم تعد تطيق ما كانت تحتمله من قبل ، ولا تبصره . وكشف الغطاء عن أعين الأمم الاسلامية ، وأدركت ما اقترفته من الإثم بالفرق ، وما جنته بالتفريط والبدد عن سنة الله في حياة الأمم والبعث عن هدى الله ونهج رسوله ، وأبصرت ما كان لها من مجد باذخ وعز :

رسا أصله تحت الثرى وسما به الى المجد فرع لا ينال طويل

لخنت اليه وتوثبت لأحيائه . وفي الأفق بارقة من الأمل في أن تيارات الفكر تتجه الى الاستقامة والعدل في المعاملة ، والى أن تبني العلاقات بين الأمم على أساس التعاون والحب ، لا على أساس السيادة والظفر . والأمم العربية أدركت ما في الوحدة من قوة ، وهي جادة في تحقيقها لتجعل منها قوة أمام الأحداث التي قد تطفئ على التقاليد ، وتطفئ على الأوطان . وهذا السعي ، وهذا الجهد في تحقيق تلك الوحدة ، يجعلنا نرجو وحدة أعم وأشمل ، هي الوحدة الاسلامية التي طلبها الله حيث يقول : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة » .

والله المرجو أن يحقق الوحدة العربية ، وأن يحقق الوحدة الاسلامية بزعامه الفاروق المحبوب . نغذ يا مولاي بيد العاملين ، وسر على بركة الله ، والله ولي الصالحين .

مولاي :

أتقدم إليك مهنًا بالعام الهجري ، داعيًا لك بطول البقاء ، وبعمر مبارك فيه ، تسعد بما تعمل من خير ، ويسعد الناس بك وبما تقدمه من خير وإرشاد .

وأقدم بتهنئتي لإخواننا المسلمين على اختلاف ديارهم ومذاهبهم وألسنتهم ، راجيًا لهم عزا ومجدا . وأسأل الله العلي القدير أن يعيد الى العالم سلاما شاملا ، أساسه العدل ، وقوامه الرحمة والانصاف ، وأن يبعد عن الظافرين زهو الظفر ، وغرور القدرة ، ويوفقهم لخير الناس أجمعين ؟

السيرة في العمل السيرة

تحت ضوء العلم والفلسفة

تابع فصل الأصول القرآنية التي أقامت الدولة الإسلامية

١٦ - « ليس للانسان إلا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » .

من الأوهام الشائعة بين أهل الأديان ، أن للقربات والانصالات فائدة في الحياة الآخرة ، كما لها في الحياة الدنيا ، وتناسوا أن فائدتها في هذه الحياة تقوم على جهالة الناس واستغنائهم الى الأوهام الموروثة ، ولا يوجد هذا المؤثر في الحياة الآخرة ، فيستحيل الناس الى أعمالهم إن خيرا نخير وإن شرا فشر .

وقد امتد الوهم بالناس الى تخيل أن المقامات الروحية قد تورث كما تورث المقتنيات المادية ، فيقام الابن مقام أبيه في مهمته الدينية ولو كان غير أهل لها . وقد مكن الشرق والغرب بهذه الغفلة قرونا طويلة قبل مجيئ الاسلام ، واستمر بعده الى اليوم ، إلا في البيئات التي غمرتها أنوار العلم .

وقد نشأ عن هذه العلة أن أسندت الأمور الى غير أهلها ، وتحولت عن وجهاتها الروحية الى حيث تستغل جهالة الجاهلين ، وأوهام السذج والمغفلين ؛ فجاء الاسلام ماحقا هذه الآفة الجاهلية ، فقرر أن ليس للانسان إلا ما قدمه من عمل ، لا ما ورثه عن أبيه من لقب ، وأن عمله هذا سوف يراه يوم الدين ، ويجزى عليه الجزاء الذي يستحقه ، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقوى في النفوس أثر هذه الآية فقال لا بنته فاطمة ، وهي أحب الناس اليه : « اعملي يا فاطمة فاني لا أغني عنك من الله شيئا » . فاذا كان رسول الله نفسه لا يغنى عن ابنته شيئا ، فهل يعقل أن يغنى في أمته غيره عن أحد شيئا ؟

وقد قرن الحق جل وعلا الايمان بالعمل في نحو ثلاثمائة آية من القرآن الكريم ، وليس بعد هذا مذهب في التحضيض على وجوب العمل ، وعدم الاكتفاء من الدين أو العلم بالكلام ، وهو الداء الدوي الذي يصيب المتدينين عند ما يخيل اليهم أن الله يسخر لهم قوى السكون لا شيء سوى أنهم مؤمنون ، وينسون أو يتناسون أن هذا الامتياز لم يعطه المرسلون أنفسهم ، فقد خاضوا غمرات الأعمال ، وابتثلوا أحيانا بالفشل بسبب أخطاء صدرت من أتباعهم . هذه الآيات اختلطت معانيها العالية ، بروح الأمة الإسلامية الاولى ، فأكسبتها رجولة في

السيرة المحمدية

٤

سيرتها لم نر لها مثيلاً في غيرها من الأمم ، ظهرت آثارها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عند اختيار خليفة له ، فلم يسندوها لواحد من أهل قرابته ، وقد كان منهم من يصلح لها ، وأسندوها إلى أبي بكر ولم يروا في ذلك بأساً ؛ ولما حضرته الوفاة نصح لهم أبو بكر أن يسندوها إلى عمر ، فاطاعوه ولم يؤانسوا في ذلك مانعاً ؛ ولما توفى عمر واجتمع أهل الشورى انتخبوا لها عثمان . حدث كل ذلك في نحو ربع قرن ولم يضطرب له حبل الأمور ، ولا انشقت منه عصا الجماعة ؛ ثم أفضت الإمامة إلى علي بن أبي طالب فكان رابع الأئمة الراشدين ، رضى الله عنهم أجمعين .

(١٧) « يأياها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون »

أى اصبروا على البأساء والضراء ، وما ينالك من عنت الحياة ، وتقلبات الحوادث ، ولا تتقبطوا عن متابعة الثبات مهما التوت عليكم الأمور ، وتكادتكم النوازل ، وصابروا أعداءكم ، أى غالبوهم في الصبر ، وباروهم فيه ، فإن الله مع الصابرين .

كررت فضيلة الصبر في الكتاب نحو تسعين مرة في ضروب عدة من الألوان البيانية ، وفي مناسبات شتى من المآزم الاجتماعية ، والمواقف الحيوية . فقال تعالى : « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » ، أى إن ذلك مما عزمه الله ، أى قطعه وأوجبه عليك من الأمور . وقال تعالى أمراً رسوله بالصبر : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، بلاغ ، فهل يهلك إلا القوم الفاسقون » . في هذا إيذان بأن الصبر من أركان الدعوة إلى الإصلاح ، وأنه شرط في نجاح الأعمال بحيث لا تقوم بدونه . وقال تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ » ، أمر الله المؤمنين ، وقد أحيط بهم ، وجدَّ بهم الجِد ، وثارت عليهم أطمير الحوادث ، بأن يستعينوا بالصبر والصلاة ؛ فاما الصبر وهو الثبات ، فهو مظهر الإرادة التي لا تزعزع ، والإرادة في ذاتها قوة معنوية ذات أثر فعال في إنجاح المطالب . بل قال الذين يبحثون في أمرار النفس البشرية أن للإرادة إشعاعاً يؤثر تأثير سائر القوى خارج محيط الشخص المرید فيحقق له ما يرمى إليه ؛ والصلاة اتصال بقبوم الوجود ، واستمداد منه ما يعينه من القوى في تذليل العقبات . فهذه الآية من أرفع ما يوصى به الموصون من وسائل النجاح في الأمور المشروعة . والمسلمون بما نجحوا فيه من مشروعاتهم الكبيرة ، على قلة عددهم ، أدل دليل على ما لهذا الأسلوب الإلهي من التأثير في العالم المادي . وقد قال كبار القادة ممن مارسوا الحروب الطاحنة : إن الشجاعة صبر ساعة ، فانظر إلى أي حد يبلغ تأثير الصبر ، وإلى أي مدى يعتد به الذين يغالبون الأحداث والعوائق ؟

١٨ — « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة ، أن لا يخافوا

ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم تعدون »

أى إن الذين قالوا ربنا الله ، المقادر الذى لا حد لقدرته ، الأمر بكل خير ، والنهى عن كل شر ؛ ثم استقاموا على الطريقة التى رسمها فى كتابه ، تنزل عليهم الملائكة ، وهى تلك الكائنات العلوية التى تتولى الصالحين بالهداية الربانية ، وتثبت فى قلوبهم روح الصبر على المكاره ، والثبات فى مواطن الشدائد ، وتنزع من قلوبهم الخوف واليأس من العناية الالهية ، وتبشرهم بما ينتظرهم فى حياتهم الآخروية من مكانات الرفعة ، ومقامات الكرامة .

إن هذه الآية أثرت فى قلوب المسلمين الأولين من ناحية الاستقامة على الطريق التى رسمها الكتاب الكريم أبلغ تأثير ، فحملتهم على تحرى محاب الله ، ومكارهه ، لا تحرى المأمور بالخير فحسب ، بل تحرى من يتلمسون الاتصال بالملا الأعلى الذى وعدوا به ، وهو مطلب كل نفس بشرية ، تشعر بأنها اضططعت بأعباء مهمة إصلاحية ، ودفع بها فى مزدحم الشؤون العالمية . فقد كانت الجماعة من جماعاتهم إذا أصيبت بفشل عارض ، تحرى قاداتها ما عسى أن يكونوا قد أهملوه من الوصايا الالهية أو النعالم النبوية ، فاستدركوه . الى هذا الحد وصل بهم العمل بأوامر الله وتجنب نواهيه . فلا غرو أن تنزل عليهم روح ربانية تدمج بالشجاعة والتضحية ، وتهد لهم العقبات المستعصية ، وتبهي لهم أسباب الغلب والنجاح .

١٩ — « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا

على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

أى ولا يحملنكم بغضكم لقوم بسبب أن صدوكم عن الطواف بالمسجد الحرام أن تعتدوا عليهم ، وتتجاوزوا حدود العدل فيهم ، ولا يشدن بعضكم أزر بعض على ارتكاب الآثام ، ولكن على الاحسان الى الناس ، وعلى خشية الله بالوقوف عند حدوده ، فإن الله عقابه شديد العقاب فاحذروه .

هذه الآية مثال من المثل العليا للأخلاق الاسلامية الماثلة فى الكتاب الكريم ، فإن قيم الوجود الذى أراد أن يجعل من الأمة الاسلامية أمة عالمية ، لم يدعها تجرى فى علاقاتها بالافراد والجماعات على السنن البشرية التى تأخذ بها الأمم ، ومنها النكاية بأعدائها ، والنيل منهم ، شفاء لصدورها بما جنوه عليها من تعطيل مناسكها ، وتأجيل شعائرها ، وما سبق ذلك من الافارات المتوالية عليها ، وتأليب الجماعات ضدها ، وإسرافها فى اضطهاد ضعفائها . وقد جرت الشعوب أن تشدد النكير على أعدائها من هذا القبيل نكاية بهم ، ولكن الخالق جل وعز الذى يريد أن يجعل من الأمة الاسلامية أمة عالمية ، قضى أن لا تجرى على هذه الحنة من العادات

الشائعة بين الشعوب ، فوضعت لذلك حدا من السمو الخلقى هو غاية ما يمكن بلوغه متى وصلت الإنسانية الى صميم الباب من العدالة الصحيحة .

١٩ -- «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم» .

هذا إيساد من الله تعالى للذين يدخرون الأموال ولا ينفقونها في سبيل الله ، بعذاب أليم . وسبيل الله هو الطريق المؤدى الى كل صلاح وإصلاح للأفراد وللجماعات . ولما كان أقوى ركن في الاجتماع هو الحاجات المعاشية والاجتماعية ، وكانت توفية تلك الحاجات قائمة على المال ، كان المسؤولون المباشرون عن هذا الركن هم المتعاملين بالدرهم والدينار . ولما كان المال يجتذب المال بما يوثيه صاحبه من الوسائل لتصيده من هنا وهناك ، كانت العهدة على الذين يجمعونه تحت أيديهم ولا ينفقونه في سبيل إقامة بنية الاجتماع يستحقون عند الله أشد العذاب .

ولما كان أخذ هذه الآية على ظاهرها يؤدي الى تحريم ادخار المال ، وحرمان المجتمع من طبقة الأغنياء ، وهي طبقة لا بد من وجودها لإقامة المشروعات العظيمة ، وتحلية المجتمع بالمؤسسات الاقتصادية التي يشتغل فيها ملايين العمال من ذوى المهن الضرورية للاجتماع ، بادر النبي صلى الله عليه وسلم الى شرح هذه الآية بقوله : « ما أديت زكاته فليس بكتر » ، وعليه فليس ما يمنع في الاسلام أن يكون بين أهله أمثال روكفلر وكارنجي والبارون هيرش وفورد ممن تعدر عوس أموالهم بمئات الملايين من الجنيهات ، على شرط أن يؤدوا ما على رءوس الأموال هذه من زكاة . وقد قدرها الفقهاء بجنيهين ونصف في كل مائة جنية . فيكون ما يجب أن تدفعه الأمة المصرية إذا قدرت ثروتها بألفى مليون جنية الآن ، بخمسين مليون جنية . وهذا القدر تنفقه الدولة في الوجوه التي قررها الشارع لمصلحة المجتمع .

هذا الركن معدود من الأركان الخمسة للإسلام لمكانه الرفيع من بنية الاجتماع . وقد تبين بعد ما دارت على الأمم الأدوار ، أن نظام الجماعة يتوقف على نظامها الاقتصادي ، وخاصة فيما ينصل بالطبقة المحرومة من المال . وقد انتهينا الى القرن العشرين ولا تزال نرى أن النظام الاقتصادي هو الشغل الشاغل للأمم المتقدمة ، ومن العجيب أن الاسلام حل هذا الاشكال بتقرير الزكاة حلا لا يدع سبيلا للمذاهب الاقتصادية المتطرفة للطعن فيه . فانها بدلا من جعل مجموع الثروات ملكا شائعا للأحاد ، وهدم كل ما اتفق العالم على الاعتداد به من الوراثة والملكية الخاصة ، فرضت على مجموع مال الأمة ضريبة سنوية واجبة الأداء قدرت باثنين ونصف في المئة ، وهو حل لا نشك في أن العالم كله سيضطر للأخذ به ، تفاديا من الانقلابات الذريعة التي يقتضيها الأخذ بغيرها من المذاهب الاقتصادية .

السنة

استدارة الزمان

عن أبي بكره رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ؛ ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان . »
رواه الشيخان .



يطلق الزمان على قليل الوقت وكثيره ، والمراد هنا السنة القمرية بدليل السياق ، واستدارة الزمان ، دورانه وعودته إلى سيرته الأولى ، منذ خلق الله السموات والأرض ، وقدر القمر منازل . والأشهر الحرم ، واحسدها حرام ، كسحاب ، من الحرمة ؛ لأن الله فرض احترامها وتمظيمها على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وتواتر ذلك عن العرب قولا وعملا ، وإن أخلوا به بعد ، اتباعا لأهوائهم ، وانقيادا لشهواتهم ، على ما يأتى بيانه . ومضر ، قبيلة عظيمة من قبائل العرب ، تنسب إلى أبيها ، وهو الجد الثامن عشر للنبي صلى الله عليه وسلم . وإنما أضيف رجب إليها ، لأنها كانت أشد القبائل استمساكا بتحريمه . ويقال إن ربيعة كانت تحرم رمضان وتسميه رجب فأبطل صلى الله عليه وسلم هذه التسمية وقضى ببيانه على هذا الزعم .

المعنى

نمريه:

في السنة العاشرة من الهجرة أذن في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج إلى الحج . فما كاد هذا النبأ ينتشر حتى أقبل الناس على المدينة ألوفاً ألوفاً ، من كل حدب يفسلون ، وحتى ضربت الخيام حول المدينة لمائة ألف أو يزيدون ؛ جاءوا جميعاً يلبون دعوة نبيهم ،

ويأتون به في حجهم ، يحدوهم إيمان خالص ، وتعلأ نفوسهم غبطة صادقة . ولخمس بقين من ذى القعدة خرج صلوات الله وسلامه عليه لحجة الوداع التي لم يحج بعد الهجرة غيرها (١) . وفي وسط هذه الجموع الحاشدة ، ألقى خطبته الجامعة الخالدة ، التي قرر فيها أسسا من الفضائل ، ونبذ فيها أصولا من الرذائل ، وطرح فيها بدعا من منكرات الجاهلية الأولى ، وأبان فيها حقوق الله ، وحقوق عباده ، ووطد فيها قاعدة المساواة بين الناس ، وأنهم جميعا سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . وأن المسلمين إخوة لا يحل لمسلم من أخيه إلا ما أعطاه عن طيبته . ووصى فيها بالنساء خيرا . وكان شطرا منها هذا الحديث الذي رواه الشيخان (٢) . وهو يشتمل على أمرين عظيمين : إبطال بدعة النسيء ، وكانت فاشية في العرب ، وفضل الأشهر الحرم .

ضلالة النسيء :

أما النسيء فهو شرعة جاهلية مبتدعة ، غلب بها العرب ما ورثوه عن ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، من تعظيم الأشهر الحرم ، وإتمام مناسك الحج ، وتحريم القتال فيها . وكان الله جلت حكمته ، ووسع كل شيء علمه ، جعلها هدنة لهم ، يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم وتجاراتهم وحجهم . ولقد بلغ من تعظيمهم لهذه الأشهر أن كان الرجل يلقى فيها قاتل أبيه أو أخيه فلا يهيج ولا يمس به بأذى . فلما طال عليهم الأمد ، وكانت معيشتهم على الصيد والحروب وشن الغارات ، والاختذ بالثأر ، شق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية . فزينت لهم شياطينهم أن يبدلوا في المناسك وينسثوا في حرمة الأشهر بسوء التأويل واتباع الهوى ؛ فكانوا إذا جاء المحرم وهم محاربون أحلوه ، وحرموا مكانه صفرا ، فإن احتاجوا إليه أحلوه وحرموا مكانه ربيعا الأول ، وهلم جرا . فإذا جاء العام القابل حرموا المحرم في زعمهم وأحلوا صفرا . هكذا كانوا يفعلون حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها . وقد يزيدون في السنة أحد عشر يوما ، أو خمسة عشر يوما ، أو شهرا في بعض السنين ، لتوافق السنة القمرية أختها الشمسية فيقع حجهم في وقت معين من السنة يتفق وأسفارهم ومواسمهم التجارية (٣) .

(١) رأينا قبل الهجرة فقد روى الثقات أنه كان يحج كل عام . قالوا : وإذا كانت قريش تحج كل عام وتفخر بذلك وهي على غير دين ، فلا ريب أنه صلوات الله عليه أحرم على الخير منهم (٢) شطر الشيء نصفه ، وجزؤه . ومنه في حديث الاسراء « فوضع عن شطرها » أي جزأها . وقد روى الخطبة كلها أصحاب السير واستشهد بها الاستاذ الكبير مدير هذه المجلة وعلق عليها تعليقا حسنا . انظر آخر المجلد الرابع عشر .

(٣) قيل إنهم تعلموا هذا الكسب من اليهود والنصارى ، فانهم كانوا يفعلونه من أجل أعيادهم . ويرى بعض الباحثين أن التأخير كان نسيء أهل البادية ، وأن الكسب كان نسيء أهل الحضر ، ولذا كانوا يختلفون في وقت الحج ويتجادلون فيه . وبهذا ، فهذه خلاصة آراء كثيرة في النسيء ذكرها المؤرخون والمحدثون . انظر « فتح الباري » في كتاب التفسير ، « وبلوغ الأرب في أحوال العرب » .

وأيا ما اختلفوا في النسيء فقد كانوا يعتدون في التحريم بمجرد العدد لا بخصوصية الأشهر المعينة. وفي هذه الضلالة التي ابتدعوها علاوة على شركهم يقول الله تعالى : « إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين »

متى استدار الزمان ؟

وأكبر الظن أن خسر الإسلام أول انبثاقه قد محاذ ظلمة النسيء فلم يبق لها من أثر ، وأنه لم يقع حجج في الإسلام إلا بعد أن استدار الزمان كما يثبته يوم خلق الله السموات والأرض ، فأرسلها الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه صريحة في الآفاق مدوية بأن النسيء قد احبى بنور الإسلام ، وعاد أمر السنين على ما كان .

حجة الصديق رضى الله عنه :

وإذا كان الأمر على ما رجحنا فقد وافقت حجة أبي بكر رضى الله عنه شهر ذى الحجة من السنة التاسعة ، كما وافقته حجة الوداع من السنة العاشرة ، خلافا لمن زعم أنها كانت في شهر ذى القعدة . وأنى هذا ؟ وكيف يصح حج الصديق إذا ؟ بل كيف يسميه الله الحج الأكبر ، ويؤذن فيه « أن الله يرى من المشركين ورسوله » ؟ ! إنا لا نشك منقال ذرة في أن العليم الخبير قد أنبا نبيه صلوات الله عليه عودة الزمان إلى وضعه الأول ، ثم نبأ به صلى الله عليه وسلم أنه في حجة الوداع ، أجل موسم شهده العالم الاسلامي ويشهده حتى يقوم الناس لرب العالمين .

آية من آيات النبوة .

وفي هذا النبأ الذى طابق ما حققه علماء الفلك ، وأثبتته أئمة التاريخ ، آية من آى النبوة ، وحجة من حجج الرسالة « وما كان الله ليظلمكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، فأمنوا بالله ورسله ، وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم »

فصل الأشهر الحرم :

وفي تخصيص هذه الأشهر بالذكر دليل فضلها على ما سواها ، فالحسنة تضاعف فيهن ، وكذلك السيئة . قال قتادة في قوله تعالى : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » : إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها ، وإن كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء ، وقال إن الله اصطفى صفايا من خلقه ، واصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالى ليلة القدر ، فعظموا ما عظم الله ، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل .

مناط التفضيل في الأشياء :

وإليه — جلت حكمته — يرد تفضيل من شاء وما شاء ، من الملائكة والناس ، والأزمنة والامكنة ، فلولا تخصيصه تعالى وتفضيله لاستوت الذوات والأعيان ، والامكنة والأزمان ، وهو سبحانه — لا يختص شيئاً بفضل إلا لمعان خاصة به ، وخصائص حقيقية فيه ، تحيط بها حكم بالغة ، وأسرار عالية ، إذا عجزنا عن إدراكها رددنا إليه علمها ، وهو تعالى جده — أعلم بمواقع اختياره ومواطن رضاه « وربك يخلق ما يشاء ويختار » فليسمنا ما وسع عمر رضى الله عنه — وناهيك منه (١) — بل يقبل الحجر الأسود ثم يرد أمره إلى الله ورسوله ، فيقول : أما والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما قبلتك .

وزعم قوم أن تفضيل بعض الأشياء على بعض ، إنما هو لما يضاف إليها من نحو علم وهمل ، وذكر وعبادة ، وإلا فذواتها كلها بمنزلة سواء . وقد نقض هذا الزعم من أساسه ابن القيم في أول كتابه « زاد المعاد » .

نظام الأشهر الحرم :

وإنما جعل الله الأشهر الحرم على هذا الوضع ؛ ثلاثة سرد ، وواحد فرد ؛ لأداء مناسك الحج والعمرة ، وتقليل شرور القتال وتخفيف أوزاره ، وتأمين السبل ، وتيسير المنافع ، لقوم ألفوا الغارة والحرب ، فحرم قبل أشهر الحج ذا القعدة ، لأنهم يقعدون عن القتال فيه ، وحرم شهر ذى الحجة ، لأنهم يحجون فيه ويؤدون المناسك ، وحرم بعده شهراً ليرجعوا إلى بلادهم آمين ، وحرم رجب في وسط الحول لزيارة البيت والاعتبار به ، لمن يتقدم من أقصى الجزيرة ثم يعود إلى وطنه آمناً . ونرى حكمة أخرى ذات شأن : أن يبدأ العام ، ويتوسطه ، ويختتمه ، ثلاثة مواسم من أجل مواسم الخير والبر ؛ لينشط كسل ، ويتنبه غافل ، ويتوب مسرف إلى الله عز وجل . وكان الختم شهرين ، فسحاً للأهبة ، ومداً للفرصة ؛ لينتبه زوار الله ويشوبوا وهم هادئون مطمئنون ، قد أرضوا ربهم ، وشهدوا منافع لهم ، وحققوا آمال الإسلام فيهم ؛ وليدرك من فاتته هذه الخطوة ، مشوبتها وأجرها ، بإخلاص نيته وصدق توبته وإحسان عمله في هذا الموسم الكريم . فما أبلغ الحكم ، وما أجل النعم ، وما أعظم أجر العاملين ؟

طه محمد السكاك

المدرس بالأزهر

(١) ناهيك به من رجل أى كافيك . كأنه بجده وغناؤه ينهك عن تطلب غيره . انظر اللسان .

المشكلة الفلسفية العظمى

التأليه العقلي

— ٩ —

المظهر الفلسفي لفكرة الألوهية

ب — الادراكات الحديثة

تمة البحث في براهين وجود الإله :

ذكرنا في الفصل السابق البرهان الذي ساقه القديس أنسلم على وجود الإله، والذي عرف في تاريخ الحركة العقلية الحديثة باسم « La preuve ontologique » أي البرهان التجردى، ووعدنا بأن نلم في هذه الكلمة بأهم الاعتراضات التي وجهت إليه . وها نحن أولاً اليوم نوفي بذلك الوعد، ولكننا نستحسن أن نرى قبل توجيه النقد إلى هذا البرهان كيف كان ديكارت يصوغه أو يعرضه بأسلوبه الخاص ليضع الإتيان اللائق به . وإليك هذا العرض :

قال ديكارت في القسم الخامس من تأملاته ما يلي :

« ولما كنت قد اعتدت بإزاء الأشياء الأخرى أن أوجد فرقا بين الماهية والوجود، فقد أقنعت نفسي في سر بأن وجود الإله يمكن أن ينفصل عن ماهيته، وأنه على هذا الاعتبار يمكن تصور الإله بغير وجود حقيقي، غير أنني مع ذلك عند ما أفكر في تنبه أشد، أجد من الواضح أن وجود الإله لا يمكن أن ينفصل عن ماهيته أكثر مما ينفصل عن ماهية المثلث ذي الزاوية القائمة أن طول أضلاعه الثلاثة مساو لمستقيمين، أو أكثر مما تنفصل فكرة الجبل عن فكرة الوادى، بمعنى أن النفور من تصور إله أى تصور موجود كامل كالا مطلقا ينقصه الوجود أى ينقصه بعض الكمال لا يقل عن النفور من تصور جبل بدون واد » .

هذا هو مجمل عرض ديكارت، ولقد أخذ به من بعده ليبنيتر ولكن بعد أن أضاف إليه ملاحظة قيمة تجعل أساسه أكثر متانة وثباتا وهي قوله : « لى يمكن انتزاع وجود الإله من مجرد تصوره كما يقول صاحب هذا البرهان يلبنى بديا إثبات أن فكرة الإله مستحودة على وجود منطقي، أى أنها قابلة للمدركية، وأن فكرة الموجود الكامل لا تحتوى على أى

تناقض . وعند ذلك يمكن القول بأنه إذا كان الإله — كما نتصوره — ممكنا لزم أن يكون موجودا (١) .

الآن وبعد أن أشرنا الى عرض بعض الفلاسفة المحدثين هذا البرهان ينبغي أن نوجز الجدل الذي دار حوله فنقول : إن الاعتراضات قد وجهت اليه في حياة صاحبه ؛ فقد كتب الراهب جونيون ضد القديس أنسلم كتابا أقل ما يقال فيه إنه قد احتوى على العناصر الأولى للنقد الحديث الذي صوب سهامه جاساندى (٢) ثم كانت الى هذا البرهان . وهالك يحمل ما ورد في هذا السفر خاصا بما نحن بصددته :

أسس جونيون اعتراضه على مبدأ التفريق بين الوجود الذهني والوجود الحقيقي فتساءل أولا عما إذا كانت فكرة الإله توجد في العقل الانساني حقا ثم قال : وعلى فرض أنها توجد فيه حقا ، فهل يمكن أن يستلزم من ذلك وجود الإله موضوعيا وفي الحقيقة ؟

ولايضاح هذا بهيئة أكثر دقة يمكن أن نتساءل قائلين : إذا كان الإله موجودا في العقل ، فهل وجوده فيه على طريقة وجود الأشياء الأخرى ؟ أى أن وجوده يمكن أن يكون حقا أو زائفا أو موضع ريب ؟ أو هو يوجد في العقل بمعنى أنه لا يمكن تصوره بدون تصور أنه موجود ؟ ففي الحالة الأولى لا يمكن استنباط الوجود الحقيقي من الوجود العقلي مادام أن الأمر بالنسبة اليه نظريا هو كما بالنسبة الى جميع الأشياء المتصورة التي يمكن أن توجد كما يمكن ألا توجد . وفي الحالة الثانية يضع صاحب البرهان كبدأ ثابت ما يراد للتدليل عليه ، وهو في نفس الوقت يتغلى عن الفكرة التي صدر عنها وهي فكرة فصل الماهية عن الوجود . وإذا انعدم هذا الفصل أو هذا التمييز بين الماهية والوجود وكأنا شيئا واحدا انهار البرهان من أساسه . وليس هذا خسب ، بل إن المؤلف يعمن في الاعتراض على هذا البرهان ويسدد اليه الضربة المباشرة فيجحد وجود الفكرة الحقيقية للإله في العقل البشري ويعلل ذلك بأنه من غير الممكن أن يدرك العقل الإله في ذاته ولا أن تمثله فيه فكرة لأن تعريفه هو أنه لا يمثل شيء . وهذا يستلزم ألا تمثله فكرة أيا كانت .

على أن الوجود الذهني هو مغاير أتم المغايرة للوجود الحقيقي . ومن آيات ذلك أننا لو تصورنا مثلا وجود جزيرة بلغت من الجمال حدا لا يمكن معه تصور أجمل منها فإذا ينتج من

(١) Leibniz - Monadologie paragiaphes 41 et 45

(٢) جاساندى هو فيلسوف فرنسي ولد في سنة ١٥٩٢ ومن أشهر ما اشتهر به هو أنه اقتل بهوبس وحارب ديكارت وأنه بشر لمذهب إبيكور وناصر الفكرة الذرية ولمسكنه لم يتابع للمادية المحضة بل كان يقر في النفس وجود جزء غير مادي . وقد توفي سنة ١٦٥٥ . ومما يجدر بالذكر أنه كان ذا أثر بارز في القرن السابع عشر وأن مولير الشاعر الفرنسي الساحر كان أحد تلاميذه .

ذلك ؟ لا جرم أنها — حسب منطق ذلك البرهان — تكون موجودة حقا ، لأننا لو فرضنا أنها غير موجودة للزم أن نتصور جزيرة أخرى تساويها في الجمال وتمتاز عنها بميزة الوجود الحقيقي .

لا ينفرد جونيون بمهاجمة هذا البرهان ، بل قد هاجمه أيضا من مفكرى العصور الوسطى القديس توماس ، وجيرسون ، ودانس اسكوت . ولقد انتهز جاساندى فرصة هذه المهاجمة فاستولى عليها ونماها واستغلها في محاربة ديكرت عند ما رآه يعرض ذلك البرهان على طريقته ويصوغه في أسلوبه ويناصر منطقته . ولما نريد الآن أن نفيض في تفصيل مهاجمات جاساندى ومثالبه التى وجهها إلى ديكرت في هذا الشأن ، لأن المجال لا يتسع للإتيان على كل هذا الجدل العنيف وإنما سنكتفى بإيجازه في لمحة عاجلة . ونجمله أن الوجود ليس خاصية من خاصيات الشيء حتى يكون أحد كالاته ، وإنما هو صورة أو فعل لا يمكن بدونه أن يتحقق لهذا الشيء أى كمال ، إذ أن ما لا يوجد لا يوصف بكمال ولا ينقص مادام أنه ليس هناك موضوع وجودى تتعقد النسبة بينه وبين المحمول الذى هو الكمال أو الناقص . وإذا صححت نسبة شيء إليه كان ذلك الشيء هو العدم المطلق . وإذا انتهى كونه الوجود خاصية وبالتالي كونه أحد الكمالات زال التناقض بين فكرة الإله الكامل وجوده الذى ليس كمالا وانهدمت فكرة استلزام تصور الإله فى العقل وجوده فى الحقيقة ، أى انهدم برهان القديس أنسلم من أساسه .

أما كانت فقد هاجم جميع البراهين العقلية على وجود الإله وهرع الى البراهين الخلقية التى رأى فيها وحدها القوة على إثبات وجود مبدع الكون . ولا ريب أن هذا رأى كغيره من الآراء فيه نظر وعليه ما أخذ ليس هذا مجالها ، ولكن الذى يعنيننا الآن ويسترعى انتباهنا هو أننا عثرنا هنا عند ديكرت على آراء فلاسفة الاسلام فى أن الوجود هو عين الموجود كما عثرنا عند كانت على آراء المتكلمين فى أن الوجود هو غير الموجود ، وهذا هو الذى سيكون مبدءا لموضوع الفصل الآتى ؟

الدكتور محمد غنم

أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

« ما تيسر » من الفلسفة

تمهيد

نبدأ باسم الله العليم الحكيم ، ملتجئين بعونه وتوفيقه وتسديده ، فيما اعتزمنا الكتابة فيه هذا العام ، وهو جانب من المسائل التي يتصل فيها الدين بالفلسفة ، أو تصطدم فيها الفلسفة بالدين ؛ فلا يجد رجل الدين بداً من الحديث عنها ، كما لا يجد الفيلسوف كذلك بداً من معالجتها رجاء أن يجد سبيلاً للتوفيق بين ذينك الطرفين المتباعدين .

والكتابة في هذه الناحية تحقق الى حد ما رغبة لشيخ من شيوخ الاجلاء من كبار رجال الأزهر وأعلامه في العلوم العقلية ، ومن الآخذين بطرف من الفلسفة الإسلامية في مراجعتها الأصلية المباشرة التي كتبها الفلاسفة والمفكرون المسلمون أنفسهم .

إلا أن البحث إن لم يجعل له نطاق معين ، ومنهاج مرسوم محدد ، ينتشر ويذهب هنا وهناك ، وبخاصة والمسائل موضوع الدراسة والحديث متعددة مختلفة ، تتطلب معالجة كل منها كتاباً خاصاً ، فأين تقع كلمات عشر في مجلة محدودة الصفحات ؟

لذلك رأيت أن يكون القصد أول الأمر الى مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة ، أو بين الشريعة والحكمة ، كما يعبر ابن رشد فيلسوف الأندلس وشارح أرسطو طاليس ؛ فهي معقد الطرف في الفلسفة الإسلامية ، وهي أهم مباحثها ومسائلها أو مشاكستها ، وتجمع في طياتها المسائل التي شجر من أجلها الخلاف بين رجال الدين ورجال الفلسفة : مثل ذات الله وصفاته ، وأزلية العالم وقدمه أو حدونه ، وإحاطة علم الله بالشئون الفردية الجزئية أو بالكلية وحدها ، ومسألة الأسباب والمسببات ، وبعث الروح وحدها للجزاء أو بعثها والأجسام معها .

عند ما أخذ الفلاسفة المسلمون في الاضطلاع بهذا العبء كانوا يعلمون تماماً ثقله ، وعند ما حاولوا التوفيق كانوا يقدرّون تمام التقدير ما في سبيل ذلك من عقبات ؛ ولكنهم لم يترددوا ولم يجبنوا أمام تلك الصعوبات ، بل ساروا الى غايتهم لا يلوون على شيء ، ولا يبخلون بمجهود ، حتى نجحوا أو حسبوا أنهم نجحوا فيما أرادوه ورأوه واجباً .

على أني أرى أن فلاسفة الاسلام حينما اتجهوا هذا الاتجاه ، وبذلوا الكثير من الجهد والعناء ، لم يكونوا في حال تجعل لهم حرية الاختيار بين محاولة التوفيق أو العدول عنها ؛ إنهم انبعثوا الى هذا العمل المجيد لأمرين : عاطفة طبيعية دفعتهم دفعا شديداً ، وضرورة قاهرة لم يستطيعوا إلا النزول على حكمها .

نعم ! من الحق أن الاحساس بالحاجة للتوفيق بين الدين والفلسفة عاطفة طبيعية ، ومحاولة ذلك التوفيق تعتبر الى حد ما واجبا لازما الاداء وأمرنا طبيعيا ينساق اليه الفيلسوف المؤمن ؛ وذلك ليحقق الانسجام بين معتقده العاصر به قلبه ، والذي يراه فوق كل شك وشبهة ، وبين ما يؤدي اليه المنظر العقلي الصحيح الذي يعتمد على مقدمات لا ريب فيها .

وكذلك العمل في سبيل هذا التوفيق يراه الفيلسوف ضرورة قاهرة ؛ ليكون في مأمن من غضب رجال الدين الذين يصدون أنفسهم والناس عن كل تفكير عقلي حر ، وليكون أيضا بئامن من غضب الشعب وتمصبه ، وبخاصة إن دفعه في هذا السبيل الخطر رجال الدين ضد المفكرين الذين يرون لأنفسهم فضلا في العقل ، والذين يزعمون أنهم قادرون على فهم ما يعتبر بالنسبة الى من سواهم أسراراً وأموراً فوق طاقة الانسان إدراكها .

لهذا وذاك نجد مفكرى الاغريق لم يهتموا أمر الصلة بين الدين والفلسفة ، ونجد كل أصحاب المذاهب الفلسفية تقريبا في العصر القديم لا يخلون مذاهبهم من مكان صغير أو كبير للمسائل الدينية ، ويحرمون هدم الدين لما له من أثر طيب محمود في الناحية الخلقية والاجتماعية . ومن ذلك يؤكد أبو الوليد محمد بن رشد أن القوم — يريد الفلاسفة الاغريق — يظهر من أمرهم أنهم أشد الناس تعظيما للديانة التي يرونها ضرورية في وجود الفضائل الخلقية والنظرية للانسان ، هذه الفضائل التي بها كمال الانسان وسعادته .

وكذلك نرى هذا الاتجاه عند غير مفكرى الاغريق وفلاسفتهم ؛ نرى « فيلون — Philon ، اليهودى وأمثاله في مدرسة الاسكندرية يشبثون بين الدين والفلسفة علاقة وثيقة العرى ، كما نرى ذلك عند كثير من آباء الكنيسة المسيحية أيضا . هذا الاتجاه لعدم نسيان الدين ، ولوجوب توثيق الصلة بينه وبين الفلسفة ، لا ينكره ابن رشد ولا غيره من حكماء الاسلام بوجه عام . وإنه لذلك يصرح في أكثر من موضع من كتاباته بأن الحكماء والفلاسفة لا يميزون الجدل في أصول الشرائع ومبادئها ، ويرون أنه لا ينبغي أن يتعرض بقول مثبت أو مبطل في مبادئ العامة ، وأنه يجب تقليد أصحاب تلك الشرائع فيما جاؤا به من مبادئ العمل وضروب العبادات التي من شأنها أن تؤدي الى المصلحة الخلقية والاجتماعية .

هذا عند غير المسلمين ، أما المفكرون المسلمون ، فإن الذي يفهم تمام الفهم الاسلام وروحه وتعاليمه ، التي تدعو للأخذ بالوسط في كل الأمور ، وتوجب الإصلاح بين المتخاصمين والتوفيق بين المتنافرين ، والذي درس تاريخ الاسلام ولا سيما الناحية العملية — تقول إن الذي فقه روح الاسلام ، ودرس تاريخ العلوم الاسلامية وتطوراتها ، يرى أن روح التوفيق بصفة عامة كانت طابعا للمسلمين في كل العلوم : الأصول والفروع ، تقريبا .

وإنه كلما وجدت مذاهب أو مدارس مختلفة أو متعارضة ، وجدت مدارس متوسطة

تحاول التوفيق بينها وتصل بين ما تباعد منها ، والتاريخ قديمه وحديثه شاهد صدق على ما نقول .

ها هو التشريع مثلاً ، نجد مذهب مالك يعتمد على الحديث ، والمذهب الحنفي يعتمد على الرأي ونظر العقل واجتهاده ، فجاء مذهب الشافعي وسطاً بين هذين الطرفين المتعارضين في المنهج والاتجاه . إن الشافعي لم يجعل الاستدلال بالحديث أحياناً في مرتبة دون مرتبة الرأي والقياس كما في المذهب الحنفي ، ولم يحمل القياس كما أحمله مالك تقريباً حين جعله في المرتبة الأخيرة من مراتب الاستدلال ، ولهذا يعتبر تقريب الشافعي وجهة النظر بين هذين المذهبين وانتخابه ما رآه الحق في كليهما أوضح ظاهرة في مذهبه (١) .

وفي علم الكلام نجد الظاهرة ، ظاهرة محاولة التوفيق نفسها . فذهب الأشعري ، الذي يسود العالم الإسلامي منذ زمن طويل حتى هذه الأيام ، ليس إلا مذهباً وسطاً بين مذهب السلف القائم على التسليم بالنص من غير تعرض لتأويله عقلياً وبين مذهب المعتزلة الذي أعطى للعقل حرية في فهم النصوص القرآنية وتأويلها بما يتفق والعقل في دائرة أصول الدين وعقائده العامة التي لا ريب فيها (٢) .

وفي الفلسفة — على ما سيحيي قريباً — نجد محاولة الفارابي الجمع بين فلسفتي الحكيمين أفلاطون وأرسطوطاليس ، كما نجد أن من سميات فلسفة المشائين العرب بصفة عامة نزعة التوفيق هذه بين كثير من المذاهب الفلسفية السابقة .

فإذا كانت نزعة التوفيق من النزعات العالية على مفكرى المسلمين بصفة عامة في جميع ضروب التفكير ، فكذلك بالاولى يعمل الفلاسفة في جد وحرص على التوفيق : بين الدين الذي اعتقدوا صحته وجري منهم مجرى الدم ، والفلسفة المبنية على النظر الصحيح والمنطق السليم ! على أن بعد شقة الخلاف بين الاسلام وفلسفة أرسطوطاليس ، وغيره من أساطين الفلسفة الأغريقية ، في كثير من المسائل التي تتصل اتصالاً كبيراً بالعقيدة كما سبق أن أشرنا إليه ، كان من العوامل التي دفعتهم الى هذه المحاولة — محاولة التوفيق — فكان منهم بعد نظر ومهارة ودقة جدية بالاعجاب ؟ « الحديث موصول »

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين بالازهر

(١) يتبين هذا من الرجوع للمراجع التي تضمنت أصول هذه المذاهب كما هو معروف ، على أن من الممكن الرجوع كذلك إلى ابن خلدون في مقدمته .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ، ومقدمة ابن خلدون .

حياة خلد الأسدي

خالد بن الوليد

١٣

بطولة خالد في حروب الردة :

كان طليحة بن خويلد الأسدي قد تلبأ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتف حوله جمع من طغام قومه وسفهاهم ، فوجه اليه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور ، وهم به حتى كاد أن يأخذه ، ولم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفي ، فاستطار أمر طليحة ، واستشرى شره ، وعظمت على الناس فتنه ، وتعاظم خطبه ، وكان رجلا شجاعا فارسا ، وداهية منطيقا ، فوجه اليه أبو بكر رضي الله عنه أول جيش في حروب الردة بقيادة البطل المظفر خالد بن الوليد ، وعهد اليه إذا فرغ من طليحة سار الى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له ، ثم خلا الصديق بخالد وألقى اليه وصيته الخالدة فقال : « يا خالد عليك بتقوى الله وإيناره على من سواه ، والجهاد في سبيله ، والرفق بمن معك من رعينك ، فان معك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهل السابقة من المهاجرين والأنصار ، فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخالفهم ، فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا عن الحملة ، فاني لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، وقدم أمامك الطلائع ترشد لك المنازل ، وسر في أصحابك على تعبئة جيدة ، واحرص على الموت توهب لك الحياة ، ولا تقا تل بمجروح فان بعضه ليس منه ، واحترس من البيات فان في العرب غرة ، وأقل من الكلام واقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم الى الله في سريرتهم ، وإذا أتيت دارا فاقحم ، فان سمعت أذانا أو رأيت مصليا فامسك حتى تسألهم عن الذين نعموا ومنعوا الصدقة ، فان لم تسمع أذانا ولم تر مصليا شن الغارة فاقتل واحرق كل من ترك واحدة من الخمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت حتى إذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع ، وإذا أقيت أسدا وغطفان فبعضهم لك ، وبعضهم عليك ، وبعضهم لا عليك ولا لك ، متربص دائرة السوء ، ينظر لمن تكون الديرة ، فيميل مع من تكون له الغلبة ، ولكن الخوف عندي من أهل الإمامة ، فاستعن بالله على قتالهم فانه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم ، فان كفالك الله الضاحية فامض الى أهل الإمامة ، سر على بركة الله » .

ويستوقف نظر الباحث في هذه الوصية أمور جدية بالتمييز والتسجيل ؛ فالخليفة الأول يأمر قائده بالرفق بمن معه من رعيته ، ويظهر له مزايا أولئك الجند البواسل ، وأنهم أهل السالفة في الجهاد ، والرفق بالرعية دستور الحكمة السامية في سياسة الجند ، والمعروة الوثقى بين الراعى والرعية تربط قلوبهم بقلبه ، وألبابهم بلبه ، وأبصارهم بمواقع بصره ، وطاعتهم بإشارته ، وإقدامهم بأمره ، ثم هو يأمره بالمشاورة عند الملحات ، والمشاورة دستور الاسلام ، وقاعدة نظام الحكم فيه ، أمر بها القرآن وعمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستن بها الخلفاء الراشدون من بعده ، وهى أعلى مطامح الامم الراقية ، ولو أن المسلمين حرصوا عليها لما أصابهم هذا التفرق والانحلال .

ثم هو يحذر قائده إذا دخل أرض العدو مهاجماً أن يواجه حملة جيوشه وعنفوان جيوشه ، لأنه يخشى عليه الجولة ، وجولة الدقاع بقوى متجمعة متأهبة تكون شديدة الوطأة ، قوية الاندفاع ، وهو إرشاد الى تعرف مواطن الضعف عند العدو ، لاخذنه من جوانبها ، وهذا ما يتبارى في ميدانه قادة الجيوش منذ أقدم الأزمان ، وقد أصبح من أعظم مظاهر العبقرية في سياسة الحروب الحديثة .

ثم يأمر الخليفة قائده أن يستظهر بالزاد ويسير بالأدلاء ، ويقدم أمامه الطلائع لترتاد له المنازل ، وفى ذلك تنبيه الى قيمة الاستعداد فى تموين الجيش وتوفير حاجاته حتى لا يشغل الجندى بأمر نفسه عن واجبه الحربى ، وقد جعلت الحروب الحديثة تموين الجيوش وتوفير أغذيتها وذخيرتها أهم أسباب النصر . أما السير بالأدلاء وتقديم الطلائع فهذا ما تسميه الاساليب الحربية الحديثة طلائع الاستكشاف ، وهو أمر من أهم فنون الحرب ، وعلى أساسه ترسم الخطط هجوما ودفاعا ، وفى صحائف هذه الحرب الدائرة الرحى اليوم ما يقفك على القيمة العظيمة لهذا الفن عند قادة الجيوش ، وعند ما يكتب التاريخ كيف تم للحلفاء غزو أوروبا عن طريق المانش فى هذه الحرب فتظهر قيمة الطلائع الكشفية تعرف كيف كانت العبقرية الاسلامية تدير دفعة الحياة بأفكار لا تعرف حواجز الزمان والمكان .

ثم يأمر الخليفة قائده أن يسير الى عدوه فى تعبئة جيدة ، ومرد ذلك الى مهارة القائد وحزمه ووضع كل سلاح فى موضعه ، وملاحظة نظام الكنتائب والفرق ، وقيام كل كتيبة بواجبها فلا تنعدها الى ما هو من خصائص غيرها مع ضمان التعاون التام بين طبقات الجيش . وفى قول الصديق لقائده البطل العبقرى « واحرص على الموت توهب لك الحياة » أعظم مبادئ التضحية وفداء العقيدة التى يجب أن يربى على غرارها الجندى حتى لا يعترضه الجبن المنزل ، ولا يقعد به الفرع عن الاقدام ... الى غير ذلك مما تضمنته الوصية من آيات خالدة يجب أن يتجلى بها القائد ، ويتم بها الجندى فى ميادين القتال .

وعى بطل الاسلام خالد وصية إمامه الأعظم ، وسار الى عدوه بجيشه يقدمه حزم جليل وصيت في الحروب تنفزع له قلوب الصناديد ، وكان في جيش خالد أبو طريف عدى بن حاتم في ألف من طي من بني الغوث ، وكانت جديلة وهم بطن من طي قد همت أن ترد فقام مكيث ابن زيد الخير ، وكان رجل صدق وديانة ، فقال لهم أريدون أن تكونوا سبة على قومكم ؟ لم يرجع رجل واحد من طي ، وهذا أبو طريف عدى بن حاتم معه ألف رجل من طي فكسروهم ، ولكنهم لم يتقدموا الى صفوف المسلمين حتى لقيهم عدى ، فان خالد رضى الله عنه أراد أن يبدأ بقتلهم لما بلغه خبرهم ، فقال لعدى : يا أبا طريف ألا تسير الى جديلة ؟ فقال عدى : يا أبا سليمان لا تفعل ، أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة ؟ فقال خالد : بل بيدين ، قال عدى : فان جديلة إحدى يدي . فكف عنهم خالد ، فجاءهم عدى فدعاهم الى الاسلام فأسلموا فحمد الله ، وسار بهم الى خالد ، فلما رأهم خالد في عدتهم فزع منهم ، وظن أنهم جاؤا لحربه ، فصاح في أصحاب السلاح ، فقليل له : إنما هي جديلة أنت تقاتل معك ، ففرح بهم خالد ورحب ، واعتذروا إليه من اعتزالهم ، وقالوا : نحن لك حيث أحببت ، فضمهم خالد الى جيشه وعقد لواء طي كلها لعدى بن حاتم ، وفرح بهم المسلمون فرحا شديدا حتى قال شاعرهم يمدح طيئا :

مرزقيتكم خير مني

جزى الله عنا طيئا في بلادها ومعتك الأبطال خير جزاء
هم أهل رايات السحابة والندى إذا ما الصبا ألوت بسكل خباء
هم ضربوا بعنا على الدين بعد ما أجابوا منادى فتنة وعماء

تقدم جيش المسلمين حتى كان قريبا من ماء لبني أسد يقال له البزاحة ، وكان طليحة في ألفاه وجوعه من المرتدين قد نزلوا على ماء آخر لهم يقال الغمر ، وتراءى الجيشان ، فقال عدى لخالد : اجعل قومي مقدمة أصحابك ، فقال خالد : يا أبا طريف إن الأمر قد اقترب ، وأنا أخاف أن أقدم قومي فاذا لحهم القتال انكشفوا فانكشف من معنا ، ولكن دعني أقدم قوما صبرا لهم سوابق وثبات ، وهم من قومك ، يريد المهاجرين والأنصار . فقال عدى : الرأي ما رأيك . وهذه نظرة ناقبة من نظرات أبي سليمان خالد بن الوليد في سياسة الحرب والعلم بأحوال الرجال ومشتون الجند في حومة الوغى ، ومنزلة أهل العقائد والإيمان في الإقدام في الحرص على الموت استشهادا في سبيل الله .

وانتهى المسلمون الى عسكر طليحة وهو في قبة من أدم قد ضربت له يسجد لأصحابه ويتكهن ، فدعاه خالد الى الاسلام تنفيذا لعهد الخليفة ، فأبى طليحة واستكبر ، وانصرف خالد عنه الى معسكره يدبر أمره ويعبئ جيشه ، فلما كان السحر دفع باللواء الأعظم الى زيد بن الخطاب ، وعقد لواء الأنصار لثابت بن قيس بن شماس ، ودنا الناس بعضهم لبعض ، وخرج أبيهجه

في كتيبة خاصة من أربعين غلاماً جلداً أقامهم في الميمنة وقال لهم : اضربوا حتى تأتوا الميسرة ، فتضمضع الناس ولم يقتل أحد منهم ، ثم أقامهم في الميسرة ففعلوا مثل ذلك وانهزم المسلمون ، فننادى خالد رضى الله عنه : يا معشر الأنصار : الله ، الله ! واقتحم وسط القوم وتراجع اليه الأنصار وتبعهم سائر الناس ، فاختلطت الصفوف ، واختلقت فيما بين الناس السيوف ، وخرس خالد في القتال ، فجعل يقحم فرسه ، ويقولون له : الله ، الله فأتاك أمير القوم ، ولا ينبغي لك أن تقدم ، فيقول : والله إنى لأعرف ما تقولون ، ولكنى مارأيتنى أصبر ، وأخاف هزيمة المسلمين .

الله در خالد ! أليس قد عهد اليه إمامه السديق بقوله : احرص على الموت توهب لك الحياة ؟ ! أفكان يطبق — وقد قبل هذا العهد القدائى — أن يرى المسلمين تأخذهم سيوف أعدائهم وهو واقف ينظر اليهم ؟ نعم إنه أمير القوم ، ولكن إمارة خالد في الحرب طرز فريد ، لأنه بطل قبل أن يكون أميراً ، وجندى قبل أن يصير قائداً ، فمن اللوغى وقد حمى الوطيس إذا أحجم أبو سليمان خالد بن الوليد ؟ روى الكلبي عن بعض الطائيين : أنه عند ما حمل طليحة في كتيبته نادى مناد من الناس ، يا خالد عليك سلمى وأحأ ، فأجابه خالد ، بل الى الله الملجأ ، ثم حمل فوالله ما رجع حتى لم يبق من أولئك الأربعين رجل واحد ، وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما .

صادق إبراهيم هرجون

مركز تحقيقات كميته بر عهد رسول الله

حلم المأمون

قال المأمون لإسحاق بن العباس : لا تحسبني أغفلت إجلالك مع ابن المهلب وتأيسدك لرأيه ، وإيقادك لناره .

قال إسحاق : يا أمير المؤمنين والله لأجرام قريش الى رسول الله أعظم من جرمي اليك ، ولرحمى أمس من أرحامهم ، وقد قال لهم كما قال يوسف لأخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم . وأنت يا أمير المؤمنين أحق بهذه المنة !

قال المأمون : هيهات تلك أجرام جاهلية ، عفا عنها الاسلام ، وجرمك جرم في اسلامك وفي دار خلافتك .

فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، والله للمسلم أحق بأقالة العثرة من الكافر ، يقول الله تعالى « والكافرين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » فهي سنة دخل فيها المسلم والكافر قال المأمون : صدقت فاجلس .

بحوث في التصوف

- ٢ -

البحث الثالث - مسالك العارفين

قبل الكلام على هذه المسالك يجب أن نذهبك الى أمر مهم تسمعه كثيرا على لسان المتصوفة والباحثين في التصوف - تسمعههم يقولون - مقام الوصول الى الله تعالى ، ووصل السالك اليه تعالى ، وتجلي عليه الحق سبحانه... فإذا يريدون من الوصول والتجلي ؟ يريدون منهما الوصول المكاني ؟ كلا ، لا يصح هذا ، فإن فيه القول بالتجسيم ، وإنما المراد معنى آخر وراء هذا ، وبيانه :
 تؤمن بالبرهان وأخبار الصادق الأمين أن هناك وراء هذا العالم المحسوس علما مجردا عن المادة له من الشؤون ما يباين شؤون المادة ، وليس لنا في هذه الحياة العادية عهد به ، ونقصنا التي بها نعلم وبها نريد وبها نحب ونكره إنما هي موجود من تلك العوالم المجردة انفصلت أو نشأت بعيدة عن حظيرة هذه العوالم المجردة وتعلقت بالجسم تدبر أمره ، فحجبها وقطعها ذلك التعلق عن عالم المجردات وما فيه من أسرار وماله من شؤون ونعموت ، في هذه العزلة التي انقطعت فيها النفس عن عالمها المجرد انحصرت مداركها في عالم المادة وماله صلة بالمادة .
 اشتاق قوم من البشر آمنوا بهذه العوالم المجردة ، وآمنوا بشيء من أحكامها على لسان الوحي ، أن يستكشفوا من شؤون هذه العوالم فوق ما سمح به الوحي واهتدى اليه العقل ، ولم يكن من سبيل الى هذا إلا أن تنفك الروح من أغلال الجسم وتأخذ حظها من الحرية حيث تستطيع أن تتصل بعالمها المجرد فينكشف لها من شؤون هذا العالم بقدر ما نالها من الحرية والاتصال .
 فإن قلت : إن ما حدث عنه الوحي واهتدى اليه العقل من شؤون ما غاب عن الحس أن هناك مدبرا للعالم ليس كمثل شيء ، فليس بجوهر ولا عرض الخ ، وأنه قادر عالم الخ ، فما عسى أن يعلمه العارف وراء ذلك إذا ما افتكت روحه من الأغلال الجسمية وانقشعت عنها الظلمات المادية ؟ قلنا إن كل ما أتى به الوحي واهتدى اليه العقل في شؤون الله تعالى إنما هو حكاية لحسب : حكم سلبي ، وآخر إيجابي . أما الأول فهو نفي المماثلة للحوادث ، فليس بجسم ولا عرض ولا مركب ولا في مكان ولا في جهة الخ ، وهذا بالضرورة لا يعطينا معنى إيجابيا عن الله تعالى .
 وبعبارة أخرى : إذا آمنت بهذه التنزيهات لا تجد في ذهنك وموضع العلم منك معنى محصلا وصورة إيجابية عنه سبحانه وتعالى ، وإنما كل ما نعلمه في ذلك أنه ليس كشيء من الأشياء التي نهددها في شأن من الشؤون ، ولكن ما ذلك الشيء الذي ليس كالأشياء ؟ لم يحدث الوحي عن ذلك ، بل اتد اليه العقل كذلك .

وأما الثاني فهو توصيفه تعالى بالقدره والارادة والعلم الخ . هذا الحكم في إيجابيته إنما يحدثنا عن صفات وكالات له تعالى من قدرة وعلم وإرادة ، ولكن ما كنه هذه الصفات وما حدودها ؟ لا سبيل لنا في تعرف هذه الصفات إلا أن نتمثلها في مظاهر صفاتنا ؛ فنتمثل القدرة بصفة لها التأثير وإن كان تأثيرا يتناول كل ممكن ، ونتمثل العلم بصفة لها الانكشاف وإن كان انكشافا يتناول كل معلوم واجب أو ممكن أو مستحيل ، وهكذا الخ ، إلا أنه بعد هذا يدفعنا الشره العلمي الى أن نتساءل : كيف يؤثر الله تعالى في الممكنات ؟ وكيف يجيبها ويمينها ؟ وكيف كشفه للأشياء ؟ هذه أمور لا نعلمها على وجه التحديد .

إذا علمت ذلك فنقول : إن العارف إذا تحررت روحه من ظلمات المادة وانصلت بعالم القدس ، علمت من شؤونه فوق ما تعلم من طريق الوحي وهداية العقل ؛ فتعلم عن ذاته تعالى معنى إيجابيا فوق ما تعلم من السلوب والتزيينات ، فتدرك معنى محصلا لذلك الشيء الذي نعمته الوحي والعقل بأنه ليس بجسم ولا عرض الخ ، وكذلك يعلم العارف في باب الأحكام الإيجابية فوق ما يعلمه العادي ، فينكشف له كيفية التأثير في الممكنات ، وكيفية الأحياء والاماتة ، وكيف تنكشف له المعلومات سبحانه . ولما في حاجة الى إيضاح الفرق بين علمنا بأنه سبحانه وتعالى يحيي ويميت استدلالا وبين علمنا بصورة الأحياء والاماتة . فإن العلم بالشيء الواحد يختلف الى صور شتى بعضها أرق من بعض ، فمن لم ير الطائفة قد يؤمن بطيرانها مستندا إلى التواتر ، ثم بعد ذلك قد يراها تطير ، ثم بعد ذلك قد يفحصها فحفا فنيا ويفهم العوامل التي بها تطير ويلاحظ تأثير هذه العوامل في عملية الطيران . لا شك أن هذه صور من العلم متفاوتة ، الثانية أرق من الأولى ، والثالثة أرق من الثانية .

لعلك تستبعد على العارف أن تصل روحه الى معنى إيجابي في الذات الأقدس وأمثال هذا المعنى مما تلوناه عليك ، وكل ما تقدم به من حجة على استبعادك هذا أن عقولنا لا تستطيع ذلك . وأقول : لا شك أن للذات الأقدس حقيقة وراء التزيينات التي أتى بها الوحي ، وهذا ما لا سبيل الى إنكاره ، وإنما تردد في أن تستطيع درك هذه الحقيقة القدسية وأنت في طورك العادي ، لكن هذا لا يمنع أن يصل الى هذا الإدراك من تحررت روحه من أغلال الجسم والجسمانيات ، رأيت البصير يدرك ما لا يدركه الأعشى ولا يشعر به شعورا ما ؟

ثم لعلك تطالبني بتصوير ذلك المعنى الذي يلحظه العارف في الذات الأقدس فوق ما أحظه أنا وأنت من السلوب المعهودة . وأقول : لا ينبغي لك أن تطالبني بذلك فأنا لم أحظ بعد بهذه المنزلة ، وإن حظيت فما من سبيل الى التعبير عنها ، هل يستطيع أن يعبر المبصر للأعشى الذي نشأ على العمى عن مداركه البصيرية ؟ كلا !

هذا ولترجع الى مسالك العارفين وخطواتهم :

أول خطوة بخطوها العارفون هي إرادة العرفان والرغبة في الوصول الى الله تعالى ، وهذه الارادة تنشأ عن الايمان بالله تعالى ، فان الايمان قد يقتضى تحريك صاحبه في طلب العرفان والاستزادة من الاطلاع على شؤون الله سبحانه وتعالى ، ولما كانت تلك الارادة يتوجه فيها المرید اليه تعالى كان لتحقيق ذلك المراد لا بد من أمور ثلاثة :

الأول : الغفلة عما سوى الحق تعالى وهجرانه .

الثاني : إخضاع القوى الحيوانية كقوى الشهوة والغضب للقوة العاقلة الطالبة لمعرفة الله تعالى ومحبه حتى لا تشاكسها في رغبتها .

الثالث : تهية النفس وإعدادها لأن تتمثل فيها الصور العقلية .

هذه الأمور الثلاثة إنما تتحقق أيضا بأنواع من الرياضات والمجاهدات .

أما الأول فوسائله من الرياضة الزهد الحقيقي وهو التنزه عما يشغل النفس عن الحق .

وأما الثاني : فوسائله منها العبادة المقرونة بالفكر ليصير الانسان بكلية متوجهة الى جناب الحق تعالى ، وفي هذا مرانة على إخضاع سائر القوى الحيوانية للقوى العاقلة المتوجهة في عبادتها الى الحق جل جلاله .

وأما الثالث : فوسائله منها التفكير والبحث العلمي المباح .

إذا استكمل المرید الرياضة على هذا الوضع وأعرض عن الدنيا وزخرفها ، فقد قطع أول مراحل السالكين .

ثم يعقب هذه المرحلة الأولى مرحلة ثانية هي زوال حب الدنيا من قلبه وميله اليها تكميلا لذاته بالتجرد عما سواه تعالى والاتصال به جل شأنه .

بعد هذه المرحلة الثانية يحصل له شيء من الاشراف والتجلى الالهي ، فيضطرب لهذا التجلى ويطلبه لذاته لا لتكامل ذاته . وهذه مرحلة ثالثة .

يأتى بعد ذلك مرحلة أخرى من مراحل التزكية هي المرحلة الرابعة ، فيها يغيب العارف عن كل شيء حتى عن نفسه ، وينصرف بكلية الى جناب الحق لا يشعر بشيء سواه .

الى هنا تنتهى مراحل التزكية ، وقد وصل السالك في نهايتها الى الله جل علاه ، وغاب عن كل شيء سواه حتى عن نفسه ، وفي الوصول اليه تعالى درجات .

قال العلامة الطوسي في شرح الاشارات :

واعلم أن العبارة عن هذه الدرجات غير ممكنة ، لأن العبارات موضوعة للمعاني التي يتصورها أهل اللغات ، أما التي لا يصل اليها إلا غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه فلا يمكن أن توضع لها الالفاظ فضلا عن أن يعبر عنها بعبارة ، فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد في الوصول اليه تعالى بالعيان دون أن يطلبه بالبرهان ؟ « يتبع »

محمد يوسف الشبنج

المدرس بكلية أصول الدين

الموجة الرابعة

القدرية

قلنا إن الموجة الأولى الكفر والايمان ، فبقي جمهور السلف على الايمان الصحيح ، وغالى الخوارج في تكفير طائفة من المسلمين ، وإن الموجة الثانية التشبيه ، ونهض جمهور أهل السنة لدفعها ، وظهرت هذه الموجة في صور مختلفة خلال العصور المتعاقبة . والموجة الثالثة التشيع رجحنا ظهورها بعد مقتل الحسين في كربلاء ، وعماد الشيعة القول بإمامة أهل البيت ثم غلافيها بعضهم غلوا كبيرا .

الموجة الرابعة : القدرية ، وهى شديدة الصلة بالكفر والايمان . وقد تأخر ظهورها شيئا لانشغال الافكار بالسياسة والنزاع بين على ومعاوية .

والقول بالقدر أسبق من الاعتزال الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، ولو أنهم اتبعوا القول به . قال الشهرستاني عند الكلام على واصل بن عطاء رأس المعتزلة : « إنه كان تلميذ الحسن البصرى يقرأ عليه العلوم والأخبار ، وكان في أيام عبد الملك وهشام بن عبد الملك . واعتزلهم يدور على أربع قواعد : القاعدة الثامنة : القبول بالقدر ، وإنما سلك في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي » (١) .

قال الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركون عند الكلام على المعتزلة : « اعلم أنهم سبع عشرة فرقة : الفرقة الأولى الغيلانية أتباع غيلان الدمشقي ، وهؤلاء يجمعون بين الاعتزال والأرجاء . وغيلان هذا هو الذى قتله هشام بن عبد الملك سابع خلفاء بني مروان (٢) » وقال عبد الرزاق الرسعي في مختصر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي عند الفصل الثالث (في بيان مقالات فرق الضلال من القدرية والمعتزلة) : « ومنها قولهم إن الله غير خالق لأكساب العباد ، ولا لشيء من أعمال الحيوانات . وزعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم ، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير . ولأجل هذا القول سموا المسلمون قدرية . إلى أن قال عند ذكر الواصلية : أتباع واصل ابن عطاء الغزال رأس المعتزلة وداعيتهم إلى بدعتهم بعد معبد الجهني وغيلان الدمشقي (٣) » . ولما زعم واصل بن عطاء أن الفاسق من الأمة لا مؤمن ولا كافر ، أى بمنزلة بين المنزلتين

(١) المال والذحل للشهرستاني على هامش كتاب الفصل لابن حزم . ج ١ ص ٥٤ طبعة القاهرة ١٣٤٧ هـ .

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركون للرازي ص ٤٠ (٣) مختصر الفرق للبغدادي ص ٩٥ - ٩٧ .

طرده الحسن البصرى عن مجلسه بهذه البدعة ، فانضم اليه جماعة عند سارية من سواري مسجد البصرة منهم عمرو بن عبيد . فقال الناس فيهما « قد اعتزلا قول الأمة » . فسموا من يومئذ معتزلة ، فأظهرا بدعتهما هذه ، وضما اليها القول بالقدر على رأى معبد الجهنى ، « فقال الناس لواصل إنه مع كفره قدرى » (١) .

وفتنة القول بالقدر أسبق من الاعتزال الذى ذهب اليه واصل . وقد فصل أبو المظفر الاسفرايينى هذا الأصل الذى استقى منه المعتزلة مذهبهم فقال عن واصل بن عطاء إنه « رأس المعتزلة وأول من دعا الخلق الى بدعتهم » ، وذلك أن معبد الجهنى وغيلان الدمشقى كانا يضمران بدعة القدرية ، ويخفيانها عن الناس ، ولما أظهرا ذلك فى أيام الصحابة لم يتابعهما على ذلك أحد ، وصارا مهجورين بين الناس بذلك السبب الى أيام الحسن البصرى . وكان واصل فى عزار من القولين يختلف اليه الناس ، وكان فى المرى يضمرا اعتقاد معبد وغيلان ، وكان يقول بالقدر . والمسلمون كانوا فى فساق أهل الملة على قولين ؛ فكانت الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة يقولون إنهم مؤمنون موحدون بما معهم من الاعتقاد الصحيح ، فاسقون عصاة بما يقدمون عليه من المعصية ، وأن أفعالهم بالأعضاء والجوارح لا تنافى إيماناً فى قلوبهم . وكان الجوارح يقولون إنهم كفرة مخلدون فى النار مع الكفار . نختلف واصل القولين وقال إن الفاسق لا مؤمن ولا كافر ، وإنه فى منزلة بين المنزلتين . فلما عرف الناس من واصل قوله بالقدر ، وكانوا يكفرونه بالقول الأول الذى ابتدعه فى فساق أهل الملة ، كانوا يضربون به المثل ويقولون : مع كفره قدرى . فصار ذلك مثلاً سائراً بين الناس يضربونه لكل من جمع بين خصلتين فاسدتين (٢) .

من هذا يتضح أن فتنة القدرية أسبق من فتنة المعتزلة ، وأن واصل بن عطاء مع قوله بالاعتزال كان قدرياً ، وأنه أخذ هذا المذهب عن معبد الجهنى وغيلان الدمشقى ، وهذان بدورهما تأثرا بما يذهب اليه أهل المثل الأخرى . قال اللالكائى فى شرح السنة : عن الأوزاعى : « أول من نطق فى القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانياً فأسلم ، ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهنى وأخذ غيلان عن معبد » .

فالقول بالقدر قديم ، شاع فى أيام الصحابة . قال ابن عباس « لما كثرت القدرية بالبصرة خربت البصرة . أو لفظ هذا معناه (٣) » .

وأورد أبو القاسم بن حبيب فى تفسيره بإسناده أن على بن أبى طالب سأل سائلاً عن القدر فقال : طريق دقيق لا تمس فيه . فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ؟ فقال : بحر عميق

(١) المرجع السابق ص ٩٨ (٢) التبصير فى الدين للاسفرايينى ص ٤٠ - ٤١

(٣) التبصير فى الدين ص ٥٨

لا منحصر فيه . فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ؟ فقال : سر خفي لله لا تفشه . فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ؟ فقال رضى الله عنه : يا سائل إن الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئت ؟ فقال : كما شاء . قال : إن الله تعالى يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء ؟ فقال : كما يشاء . فقال : يا سائل لك مشيئة مع الله أو فوق مشيئته أو دون مشيئته ؟ فإن قلت مع مشيئته ادعيت الشراكة معه ، وإن قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته ، وإن قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته (١) .

فأنت تلج خلال هذا الجدل الذى دار بين على ومن يحاوره البحث عن مسألة القدر من جهة ، ومحاولة عدم إرادة الخوض فيها من جهة أخرى .

وفى القرآن إشارات كثيرة الى مسائل سئل النبي عنها فلم يجب وترك أمرها الى الله ، مثل « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم ، إن هم إلا يخرصون » .

وأكبر الظن أن اشتغال العرب الأوائل بالاقبال على الاسلام وهدم الوثنية ، ثم انصرافهم الى حرب المرتدين ، والقيام بالفتوحات المختلفة ، شغلهم عن الخوض فى هذه المسائل الدقيقة ، فلما استقرت الفتوحات وهدأ بال المسلمين نظروا فى هذه المسائل وأشباهاها .

وليس بعيدا أن معبد الجهنى وغيلان الدمشقى أخذوا القدريّة عن واحد من بعض الملل . فمن المعروف أن المذاهب الفسطورية كانت منتشرة فى البصرة وما جاورها .

ويؤيد دى بور مذهب اليه ؛ قال « أول مسألة قام حولها الجدل بين علماء المسلمين هى مسألة الاختيار ، وكان المسيحيون الشرقيون يكادون جميعا يقولون بالاختيار . ولعل مسألة الارادة لم تبحث من كل وجوهها فى زمن من الأزمان ، ولا فى بلد من البلاد ، مثل ما بحثها المسيحيون فى الشرق أيام الفتح الإسلامى . وكان هذا البحث متصلا بالمسيح أولا وبالإنسان بعد ذلك .

« وتقوم الى جانب هذه الشواهد الواضحة دلائل متفرقة على أن طائفة من المسلمين الأوائل الذين قالوا بالاختيار تتلمذوا لأساتذة مسيحيين » (٢) .

ويرى الأستاذ أحمد أمين غير هذا رأى ، وأن مسألة القدر صدرت عن المسلمين أنفسهم وأنها فكرة تحدث حول كل دين تقريبا (٣) .

ونحن نخالف الأستاذ أحمد أمين فى هذا ، ونرجح أن الكلام فى القدر إنما تأثر فيه المسلمون بالنصارى ؛ لأنّ الثابت أن أول من تكلم فيه هو معبد الجهنى الذى أخذ عنه غيلان

(١) المرجع السابق ص ٨٥ (٢) تاريخ الفلسفة فى الاسلام - دى بور - ترجمة أبو ريعة ١٩٣٨

من ٤٩ . (٣) راجع ضعى الاسلام الجزء الاول الطبعة الثانية ١٩٣٤ ص ٣٤٤ - ٣٤٦ .

الدمشقي . وكان غيلان الدمشقي « قبطيا قدريا لم يتكلم أحد قبله في القدر ودما إليه إلا معبد الجهني ، وأخذه هشام بن عبد الملك بن مروان وصلبه بباب دمشق » (١) .
فأنت ترى أن غيلان كان نصرانيا ، وأن معبدا الجهني أخذ القول بالقدر من سوسن النصراني كما ذكرنا سابقا .

قال الاسفراييني : « وظهر في أيام المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية ، وكانوا يخوضون في القدر والاستطاعة كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي وجمد بن درهم . وكان يشكر عليهم من كان بقي من الصحابة . . . ثم ظهر بعد ذلك في زمان الحسن البصري خلاف واصل بن عطاء في القدر وفي القول بالمتزلة بين المتزلتين » (٢) .

ومن هذا كله يتضح أن القدرية ظهروا في العصر الأموي قبل عصر هشام بن عبد الملك ، لأن أول من قال بالقدر هو معبد الجهني الذي قتله الحجاج بعد سنة ثمانين ، وقتل هشام غيلان وأمر بقطع يديه ورجليه .

وأن ظهورهم كان أسبق من المعتزلة وعلى رأسهم واصل بن عطاء ، الذي أخذ منهما القدرية ، وأضاف إلى ذلك القول بالمتزلة بين المتزلتين .
وخلاصة هذا المذهب أن الله تعالى « حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر وظلم ، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحكم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه . فالعبد هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر والطاعة والمعصية » (٣) .

وقد توسع المعتزلة بعد ذلك في هذه المسألة ، وفرعوا عليها كثيرا من الأبحاث ، وقام أهل السنة يردون عليهم بما لا يتسع له هذا المجال .

دكتور

أحمد فؤاد الأهواني

تبعات الغضب

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون المرء من غضب الله إذا غضب » .
وقال معاوية : إني لأستحي من ربي أن يكون ذنب أكبر من عفوي ، أو جهل أكبر من حلمي ، أو عورة لا أوارئها بسترى .

وقال مورو العجلي : ما تكلمت في الغضب بكلمة ندمت عليها في الرضا .

وقال يزيد بن أبي حبيب : إنما غضبي في فعل ، فإذا سمعت ما أكره أخذتهما ومضيت .

وقيل للأحنف : ما الحلم ؟ فقال : قول إن لم يكن فعل ، وصمت إن ضر قول .

وقال الأحنف أيضا : رب غيظ تجرعه مخافة ما هو أشد منه . وأنشد :

رضيت ببعض الدل خوف جيمه - كذلك بعض الشر أهون من بعض

الامبراطور الفيلسوف

— ٢ —

٨ — تدين مرقس أوريليوس :

يلجأ الامبراطور الفيلسوف الى البراهين الرواقية لإثبات وجود الله ، ولكن سرعان ما يبدو أن استمساكه بالدين المقرر لم يكن قائما على حجج فلسفية . ويتجلى في بحثه لهذه المسألة شيء من الحماسة وحرارة العقيدة ؛ قال : « إذا صح أن الآلهة لا تهتم بشيء ولا تفكر في شيء — ومثل هذا الاعتقاد زيف وضلال — فلنترك إذن الضحايا والصلوات والعهود المقطوعة والشعائر الأخرى التي تتمثل بها في أذهاننا حضور الآلهة وقربها من حياتنا » (١) .

ونرى مرقس أوريليوس يغادر الفلسفة ويقيم معتقداته على تجربته الخاصة : « الى الدين يسألون » : أين رأيت الآلهة حتى تعتقد بوجودهم وتعبد لهم مثل ما أنت فاعل ؟ « أوجه هذا الجواب : أولا أنهم مشهودون حتى للعيون الجسدية . ثانيا : إنني ما وقع بصري قط على نفسي ، ومع ذلك فاني أجعلها وأجترمها . وكذلك شأن الآلهة : تشهد تجربتي المطردة بقدرتهم فأجزم بوجودهم وأقدم اليهم إجلالي » (٢) .

وإجلال مرقس أوريليوس للألوهية ليس يتجلى في العشار المشتركة العامة ، بل هو إجلال فردي اعتاد أن يخلو فيه الى المعبد الداخلي . ومرقس أوريليوس لا يقتصر على عبادة الله وتقواه والتوكل عليه والحمد له وطلب إفضاله ونعمه بالدعاء ، بل إنه يرتفع الى الرغبة في التشبه بالله (٣) . ولكأنه يشمر شعورا صوفيا بحضور الله حضورا حقيقيا . وهو يريد أن يحيا حياة الله ، وأن يكون على اتصال وثيق به . واضعا نصب عينيه الكمال المتألى الذي يسعى الى أن يتحد به وإن كان لا يستطيع بلوغه في الدنيا .

٩ — الخلو الى النفس :

قد تسفر الحياة عن وجه عبوس مكفهر . وطبيعي عند ذلك أن يلتمس المرء ملجأ ومقاما وادعا . ولكن أين يجد المرء هذا الملجأ الأمين ؟ في النفس . يقول مرقس أوريليوس : إنهم يبحثون عن أماكن العزلة ، ويفتشون عن الريف ، ويرتادون الجبال وشواطئ البحار ...

Marc-Aurèle, Pensées, VI, 44.

(١)

Of. Vernon Arnold, Homau Stoicism, P. 138.

(٢)

Marc-Aurèle, Pensées, X, 8.

(٣)

ولكنهم في هذا كله يجاوزون الصواب . إذا شئت أن تجد مكانا منيعا فاطلبه في نفسك التي بين جنبيك ، فليس في العالم موضع أهدأ ولا أبعد عن السامة مما يجد المرء حين يخلو الى نفسه (١). ويقول أيضا : « لتعلم أن نفسك منبع الخيرات جميعا ؛ هي منبع لا ينضب على شرط أن تزيده كل يوم تعميقا » .

ولكن مرقس أوريليوس لا يريد بهذا أن ينصرف الناس عن شئون الحياة العامة ، ولا أن يسترسلوا في أحلام نظرية كلما طاب لهم التحليل الباطني « بل يرى أنه يجب على الانسان أن يقبل على العمل وفق مطالب العقل (٢) .

١٠ - أخلاقيات مرقس أوريليوس :

قرر مرقس أوريليوس أهم مبادئ الرواق من حيث الاخلاق ، ولكنه أغفل المفارقات الرواقية المشهورة ولم يكلف نفسه مشقة الادلاء بنظرية مفصلة عن الفضائل والردائل ، وإنما الخير الاسمي عنده في الصبر ومتانة الاخلاق . قال : « كن مثل رأس الأرض (الداخل في البحر) تتكسر عليه الامواج من غير انقطاع وهو قائم ثابت حتى يفتر من حوله جيشان الماء . أفنتقول : « ما أتعس حالى إذ أصابني هذا الأمر » بل قل بالعكس : « ما أسعدني إذ أصابني هذا الامر . وما زلت خاليا من الحزن والامسى ، لم يحطمني الحاضر ولم يخفني المستقبل » . قد ينزل ذلك الخطب بأي إنسان ، ولكن ليس كل إنسان بقادر على أن يتحملة من غير ابتئاس (٣) .

والامبراطور الفيلسوف يدعو الى طيبة القلب وإخلاص الضمير . ولنستمع اليه يقول : « لتبق بسيطا ، طيبا ، نقي السريرة ، جادا ، عدوا للزهو والجاه ، صديقا للعدل والحكمة ، متدينا ، رفيقا ، إنسانيا ، مستمسكا بأداء الواجب . ولتجاهد نفسك لكي تبقى كما أراذك الفلاسفة أن تكون ، ولتسبح لله ، ولتكن دائما في عون الناس ، فالحياة قصيرة ، وثمره وجودك على الأرض أن تصون نفسك مطهرة ، وأن تفعل ما يعود بالخير على الجماعة (٤) » .

ويعضى الفيلسوف في تسامحه وكرمه نازعا دائما الى فعل الخير لاجل الخير ومن غير أن ينتظر من الناس اعترافا بالجميل . وهو يريد أن يكون في فعله على حد تعبيره الجميل : « كشجرة الكرم تؤتي ثمرها كل عام ، ولا تنتظر جمع ذلك إلا حلول الفصل الجديد لكي تهدي الى الناس عنقودا جديدا (٥) » .

Marc-Aurèle, Pensées, IV, 3. (١)

Marc-Aurèle, ibid. , IV, 24. (٢)

Marc-Aurèle, ibid. , IV, 49. (٣)

Marc-Aurèle, Pensées, IV, 30. (٤)

Marc-Aurèle, ibid. , V, 6. (٥)

١١ — الاستقلال :

وكل موجود خيره وفائته هو أن يؤدي العمل الذي خلق له . والانسان إنما خلق بطبيعته حافلا . فحسبه إذن لكي يصيب خيره ويباغ غايته أن يحيا وفقا لطبيعته ، يعنى وفقا للعقل . ولأجل هذا وجب عليه أن يحقق استقلاله النفسى مهما كلفه ذلك ؛ وحب عليه أن يصون ذلك الاستقلال سواء بازاء غيره من الناس وبازاء القيل والقال ، أو بازاء الآراء التى منشؤها الخيال أو الأهواء والاتفعالات والرغبات والمخاوف . . . فاذا بلغ الانسان ذلك الاستقلال المنشود عاش حرا غير مقيد وعاش من نفسه فى حصن حصين ؛ فلا يحسه مكروه ، ولا يستطيع أحد أن يلحق به ضررا . ولو كان الانسان لا ينخدع بظواهر الأمور لا تتبع سبيل الفطرة التى يهديه العقل اليها . ولكنه يقع غالبا ضحية لآرائه الخاطئة الواهمة : فاذا رايته مثلا يجرى وراء المجد والمال فذلك أولا لأنه يظن المجد والمال خيرا ، وثانيا لأنه يتوهم أن الوصول اليهما شئ فى مقدوره . ومن هنا إصرار مرقس أوريليوس والرواقيين على التفرفة بين الأشياء التى ليست فى قدرتنا ، وكل ما هو أجنبي وخارج عنا ليس فى مقدورنا والذي فى مقدورنا هو ملكات نفوسنا وعلى الخصوص قدرتنا النفسية على أن نصدق الأفكار التى تحكم بيداها ، وقدرتنا على الرضا وإيقاف الحكم . وهذا المعنى قال مرقس أوريليوس بأن كل شئ إنما هو رأى من الآراء ، وفى مقدورنا أن نرى فى الأشياء الرأى الذى نشاء : « احترم ملكة الرأى ، فكل شئ راجع اليها ، وهى كل شئ فى الانسان (١) »

فاذا قيل بأن قدرة الانسان محدودة ، وأن كثيرا من المصاعب تعترض طريقه ، فالجواب أن هذا هو السبب فى أن الحكيم لا يريد أبدا إلا « بتحفظ » ، وعلى شرط أن الشئ المطلوب يكون قريب المنال . فاذا كان صعب المنال فالرجل الذى يكون قد تحفظ فى طلبه لا يحس من جراء فشله فى بلوغه بأى ألم أو خيبة ظن ، لأنه كان يقدر إمكان وقوع الفشل ، وبهذه المثابة لا يكون فشلا .

١٢ — نظرة عابسة :

ولكن على رغم هذه نظريات الرواقية التى أقرها الامبراطور الفيلسوف يستطيع المتأمل أن يلح فى ثنايا كتابه آثار الانقباض والعبوس . لقد تعلم مرقس أوريليوس من ابكتيتوس مبادئ الاستسلام والاذعان ، ولكنه لم يكنسب نظرة الفرح والابتهاج التى عهدناها عند أهل العصر السابق ؛ تلك الفطرة التى تجعل الحكيم يشعر بأنه ملك ولو كان عبدا . بل إن الانسان يشعر عند قرائة الخواطر أن فيلسوفنا ، وإن كان امبراطورا ، يحس بأنه عبد وأنه من رعايا

Marc-Aurèle, Pensées, III, 9.

(١)

Vernon Arnold, Roman Stoicism, P. 125.

(٢)

الكون الذي يسيطر عليه . صحيح أن مرفس أوريليوس لم يرد قط أن يخالف الزاموس العام أو يخرج على النظام الكوني ، ولكن بخيل اليأس أن نعمته الحزينة لا تشعر بأنه كثير الاحتياج بالمساهمة والتعاون الفعال في ذلك العام ، ومن أجل هذا صح قول من قال بأن مرفس أوريليوس يمثل الرواقية حين اضمحلال رومة بلون قائم (١) .

١٣ — التأهب للموت :

وتلك النظرة العابسة الى الحياة تلائم الإذعان الذي يقابل به الفيلسوف فكرة الموت الذي يراه نهاية لحياته الفردية . ومن هنا اتخذ تفكيره غالب الأمر فكرة الموت مبدأ هاديا في الأخلاق . ولذلك كانت آخر رسالة للفيلسوف الامبراطور شبيهة برسالة « الفيلسوف العبد » (ابكتيشوس) في قوله : « اصبر وتزهد » . قال مرفس أوريليوس : « لا تحتقر الموت » بل رحب به لأنه جزء أيضا من الأشياء التي تريدها الطبيعة (٢) .

« فالرجل الذي ألف التفكير والتعقل لا يجزع من الموت ، ولا يبتس له ، ولا ينفر منه ، ولا يزدريه ، بل ينتظره كما ينتظر فعلا من الأفعال الطبيعية » (٣) . وقال أيضا : « ما أجل النفس التي تكون مستعدة إذا لزمها لساعتها أن تفارق البدن لكي تفي أو تتناثر أو تبقى بعد البدن . ولكن ذلك الاستعداد ينبغي أن يحس من اعتقاد ومن حكم شخص لا من ميل الى المخالفة كما هو الحال عند المسيحيين . وليكن متعقلا ، جادا ، صادقا ، خاليا من الوقفات والأوضاع المسرحية » (٤) . وقال : « انتظر باطمئنان إما أن تموت وإما أن تلتقل نفسك الى مكان آخر . والى أن تحين الساعة فإذا عسى أن تكون المعونة ؟ هي أن تجل الآلهة وتحمدن وتصنع الخير والمعروف ، وأن تتحمل وتزهد ، وأن تذكر أن جميع ما يقع في حدود الجسم والحياة ليس ملكا لك ولا هو في مقدورك » (٥) .

١٤ — الجامعة الانسانية :

الناس جميعا متساوون ، ولهم من العقل أنصباة متساوية ، وهم من أجل هذا يحبون الاجتماع ، ذلك أن الموجودات كلما ارتفعت في المنزلة زاد ائتلافها وانجذابها بعضها الى بعض ، فينبغي إذن على الناس بحسب قانون الطبيعة أن يتحابوا وأن يتواصلوا . وهم مندوبون الى أن يتعاونوا أوثق تعاون في سنيل العمل الشامل والخير العام . (٦) .

(١) Pensées, IX, 3.

(٢) Pensées, IX, 3.

(٣) Pensées, XI, 3.

(٤) Pensées, V, 33.

(٥) Pensées, IX, 9.

(٦) Pensées, V, 8.

ولقد أوصت الرواقية أن يعامل الناس بعضهم بعضاً معاملة الاخوان ؛ إذ الناس على اختلاف ألوانهم وشموبهم تجمعهم وحدة العقل والجوهر . ونحن نرى مرقس أوريليوس يلفت النظر الى رابطة القرى التي تصل بين كل فرد من أفراد الناس وبين الجنس البشرى عامة . وهذه القرابة لا يعدلها في نظره لا قرابة الدم ولا قرابة الولد ، بل هي قرابة قائمة على شرف الانساب الى عقل واحد (١) .

وإذن فواجب التعاون وحسن المعاملة يقتضى الوثام والاتحاد . ولعل امتياز الإنسان هو أنه يجب حتى من يعتدى عليه (٢) . على أن الناس إذا كانوا يأتون الشر ويسبون الى غيرهم فذلك فى الحقيقة رغما عنهم ولأنهم يخطئون . فبين لهم خطأهم أو احتمال سوءاتهم . هذا ما يقوله مرقس أوريليوس ، وهو فيه على اتفاق مع سقراط ومع الرواقيين .

ولهذا يرى الفيلسوف الامبراطور أنه إذا أخطأ إنسان فينبغى علينا أن نلتمس له المذرة أون نكون به من المترفين : « فالرفق فعال قوى الأثر فى النفوس على شرط أن يكون بريئاً لا يشوبه عبوس ولا نفاق . . . (قاذأ أخطأ مخطئاً) فاقبل عليه وتحدث إليه فى رفق ، من غير إعانات ولا لوم ولا هزم ولا ضعف . لا تتكلم كما تتكلم فى المدرسة ، ولا لى تشرب أعناق الحاضرين إعجاباً بك ، بل تحدث اليه وكأنه وحده من غير شهود (٣) » .

المكتوب عثمان أمين

من طرف الأدب

وقف الأحنف بن قيس ومجد بن الأشعث على باب معاوية ، فأذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث ، فأمرع مجد فى مشيته حتى دخل قبل الأحنف . فلما رأى معاوية الأحنف قال له : والله إني ما أذنت له قبلك ، وأنا أريد أن تدخل قبله . وإنا كما نلى أموركم ، كذلك نلى أدبكم ، ولا تزيد متزید فى أمره ، إلا لنقص بجده فى نفسه !

وقال عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين : ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يستخف بهم : العلماء والسلطان والاخوان . فن استخف بالعلماء أفسد دينه ، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه ، ومن استخف بالاخوان أفسد مروءته .

وقال أبو الزناد : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز ، فكان يكتب الى عبد الحميد عامله على المدينة فى المظالم فيراجعها فيها ، فكتب إليه أمير المؤمنين : إنه يحيل الى أنى لو كتبت إليك أن تعطى رجلاً شاة ، لكتبت الى أضافنا أم معزا ، ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت الى ذكرنا أم أنى ، ولو كتبت إليك بأحدهما ، لكتبت الى أصغيرا أو كبيراً ، فإذا كتبت إليك فى مظلمة فلا تراجعنى فيها !

(١) Marc-Aurèle, Pensées, IX, 9; XII, 26.

(٢) Marc-Aurèle, Pensées, IV, 22.

(٣) Pensées , XI, 18,

لغويات

سأذكر تحت هذا العنوان مباحث منشورة ، يجمعها أنها تتصل باللغة العربية الشريفة ، ولا أشرط أن تدخل في باب غير هذا العنوان العام .

- ١ - إني وإن كنت قليل المال ، لسكني لا أضيع كرامتي ، ولا أهين نفسي .
- ٢ - مجد وإن كان مملقا فهو غني النفس .
- ٣ - العلم وإن كان يهذب الخلق ، إلا أن بعض العلماء يتزعجون إلى المرذول من الأخلاق .

يرى القارىء فيما أوردته أساليب تكثر على السنة الكتاب وعلى أسلأت أقلام المؤلفين ، ولا أراني في حاجة إلى سوق الشواهد والأمثلة على ذلك ، فهي تمكن من شاكلتها في وفرة وسمعة .
والذي يعنى الباحث تخرج هذه الأساليب من الوجهة النحوية ، وتعرف حالها في موافقتها للعربية .

يرى الناظر فيها مبتدأ أو ناسخا يحتاج إلى خبر ، ويتطلب الخبر فيعيبه الخبر ؛ إذ يلقى جملة مصدرة بلكن أو إلا - وهي في هذا المقام بمعنى لكن - ولكن تفيد الاستدراك ، وهو إنما يأتي بعد تمام الكلام ، فهو في مقام الفضلة في الجملة ، فلا يكون محط الفائدة كما في الخبر . وقد قال السيوطي في اللمع (١) : « قال شيخنا العلامة الكافيجي (٢) رحمه الله : ولا يسوغ الأخبار بجملة ندائية ؛ نحو زيد يا أخاه ، ولا مصدرة بلكن أو بل أو حتى ، بالأجاء في كل ذلك » .

وفي الأسلوب الثاني يجد جملة مقرونة بالفاء بدون أن يكون في المبتدأ معنى المجازاة ، فليس من بابة قوله تعالى : « قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم » إذ كانت المجازاة إنما تكون حيث يكون المبتدأ موصولا أو موصوفا بجملة فعلية أو ما في معناها .

والآن من حق القارىء أن يسأل : هل وردت هذه الأساليب في المأثور عن العرب ؟
وفي الجواب على ذلك أقول : إن الأسلوب الثاني ورد في فصيح الكلام ؛ فقد قال (٣)

(١) ص ٩٦ ج ١ (٢) هو محمد بن سليمان . نسب إلى كافية ابن الخاجب لسكثرة اشتغاله بها ، وقد استعمل علامة للنسب التركية وهي جى ، فألحقت بالكافية . وكانت وفاته سنة ٨٧٩ . وانظر البهية ص ٤٨
(٣) انظر كامل المبرد بشرح المصنف ج ٣ ص ١٧٦ ، وقوله في السر مشها ، قال المصنف : من سر الوادى وهو أكرم موضع فيه .

عامر بن الطفيل — وكان سيد بنى عامر في الجاهلية ، ومات في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام كافرا — :

إني وإن كنت ابن سيد عامر وفي السر منها والصريح المذهب
فما سودتني عامر عن وراثة أبي الله أن أسمو بأم ولا أب

ويبدو في تخريج هذا الحكم زيادة الفاء ؛ إذ كان جل كلامهم على سقوط الفاء في مثله ؛ كما قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (١) :

لسنا وإن كرمنا أوائلنا يوما على الأحساب تتكل

وقال طخيم (٢) بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوما من أهل الحيرة نصاري ، كان يتردد إليهم ويظل عندهم :

وإني وإن كانوا نصاري أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم وينوق

ومما ورد بالفاء في هذا الأسلوب ما رواه القالي في أماليه (٣) عن سعيد بن مسعدة الأخفش قال : « اعتذر رجل من العرب إلى بعض ملوكهم ، فقال : إن زلتني وإن كانت قد أحاطت بحرمتي ، فإن فضلك يحيط بها ، وكرمك يوفي عليها » .

وقد سوغ هذه الفاء توهم وقوعها في جواب الشرط . وأما الأسلوبان الآخريان فلم أقف عليهما في كلام عربي . ويبدو من كلام الشهاب الخفاجي أنه وقف على ذلك ؛ فقد قال : « واعلم أنه استشكل وقوع الاستدراك خبرا في نحو زيد وإن كثر ماله لكنه بخيل ، مع وقوعه في كلامهم (٤) » .

وفي كلام ابن خلدون في مقدمته ، في كلامه على أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضار : « وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه في المقدار الضروري ، لا في الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها » . وكأن النحاة اعترفوا بهذين الأسلوبين نظرا لشياعهما ، وتكلفوا تخريجهما ، وذكروا في ذلك وجهين :

١ — الأول أن جملة الاستدراك هي الخبر ، وصح الاستدراك نظرا إلى أن المبتدأ مراعى تقييده بالغاية التي تستفاد من الشرط بعده . ففي نحو زيد وإن كثر ماله بخيل ، كأنه قيل زيد الكثير المال بخيل مع هذا .

٢ — والثاني أن يقدر الخبر محذوفا مناسبا للمقام ، يصح الاستدراك عليه ، فيقدر في المثال

(١) المرجع السابق ص ١٧٥ (٢) الكامل ج ١ ص ١٥٢ (٣) ج ١ ص ٢٧١ طبعة ١٣٢٤

(٤) حاشية على الانتماء في مبحث تعريف خبر المبتدأ وتجد هذا النص أيضا في حاشية الحضري على ابن عقيل

السابق زيد واسع الحال وإن كثر ماله لكنه بخيل ، أو يقدر من لفظ الغاية أى زيد كثير المال ، وتكون الغاية دلت عليه عوضاً عنه ، فحذف الخبر هنا واجب لسد الغاية مسده ، فلا يلفظ بهما مجتمعين .

وبعد ، فالأسلوب الصحيح البراء من التكلف ألا يقرن الخبر بأداة مما ذكر ، وأن يطرح ما أطرحته العرب ، ونعود الى العربية الصافية .

جئت في نفس الوقت . قرأت نفس الكتاب .

يتردد هذا الأسلوب كثيراً ، ولا يجيزه النحاة ؛ إذ أن النفس هنا سبيلها التوكيد ، ووجه التوكيد أن يتأخر عن المؤكد ولا يلي العامل ؛ فالصواب أن يقال : جئت في الوقت نفسه ، وقرأت الكتاب نفسه . قال الأشموني : « لا يلي العامل شيء من أفعال التوكيد وهو على حاله في التوكيد ، إلا جميعاً وعامة مطلقاً ، فنقول : قام القوم جميعهم وطامتهم ، ورأيت جميعهم وطامتهم ، وصررت بجميعهم وعامتهم ، وإلا كلاً وكلنا ، مع الابتداء بكثرة ، ومع غيره بقلة » . وقال الصبان : « قوله : وهو على حاله في التوكيد ، أى من إفادة التقوية ورفع الاحتمال . واحترز بذلك عن نحو طابت نفس زيد ، وفقأت عين عمر . فإن المراد بالنفس الروح وبالعين الباصرة ، فليسا على حالهما في التوكيد » . وقد يسبق الى الوهم أن من هذا الباب قوله تعالى : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » ، وقوله عز وجل : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » وليس منه ، إذ ليس المراد التوكيد ، وإنما أتى بالنفس فراراً من اتحاد الفاعل والمفعول ، وهو ما تجنبته العرب في غير أفعال القلوب وما ألحق بها ، فلا يقال أهنتنى وإنما يقال أهنت نفسي ، ومنه وما أبرئ نفسي ، وهو كثير . وقالت أعرابية (١) : خير قليل وفضحت نفسي . فنرى أن ما ذكر جاءت النفس فيه بعيدة عن باب التوكيد ، وكأن هذا ذهب عن العلامة الصبان فقال بعد الكلام السابق : « ويرد عليه نحو جاءني نفس زيد وعين عمرو أى ذاتهما ؛ وفي التنزيل : كتب ربكم على نفسه الرحمة » . وليت شعري ، من أجاز هذين المثالين اللذين افترضهما حتى يردا على ما بت الأشموني والنحاة الحكم به ؟ وقد علمت أن ما في الآية لا يشهد له . على أن هذا الأسلوب قد ورد في كلام ابن جني ؛ قال في الخصائص (ج ١ ص ٢٩٥) : « وهي متعلقة بنفس ثباً » يريد بقبا نفسها . ومثل هذا لا يغنى في إثبات أسلوب أطرحته العرب وعمدت الى خلافه ، على كثرة الدواعي الى ذلك ، والعالم يؤخذ بروايته لا برأيه وكلامه في مثل هذا .

فينبغي أن نقف عند ما وقفت العرب ، ولا نبتدع من الأساليب ما لم يصح عنهم .

(١) هي فاقرة امرأة الأسد . وانظر أمثال البدائي ، في حرف الماء .

* * *

أحيطكم علما بكذا . أحاطه بالعناية والتعظيم .

يكثر هذا الاستعمال . وتري فيه أحاط متعدية بنفسها ، وإنما تقع على هذه المادة في الفصح متعدية بالحرف . ففي الكتاب العزيز : « أحاط بكل شيء علما ، ولا يحيطون بشيء من علمه » وفي سورة الفتح : « وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها » . قال الرمحشري : « ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمير يفسره قد أحاط الله بها تقديره : وقضى الله أخرى قد أحاط بها ، وأما لم تقدروا عليها فصفة أخرى ، والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا ، وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ » . فترى كيف جعل الأمر فيها كالأمر في نحو محمدا مررت به ، وتري ثلاثي هذا الفعل متعديا بنفسه من غير تكبير ، يقال : حاطه الله برعايته ، وكلاؤه بعنايته . وفي حديث العباس رضي الله عنه : قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك — يعني أبا طالب — فإنه كان يحوطك ويغضب لك . قال ابن الأثير : حاطه حوطا وحياطة إذا حفظه وصانه وذب عنه وتوفر على مصالحه . ومن الثلاثي جاء الحائط للجدار ، لأنه يحوط ما فيه .

ويقود البحث في هذه المادة الى ما قد يستأنس به في تسوية استعمالها متعدية بنفسها .

١ — ففي اللسان : « وحوَّط حائطاً : عمله . وقال أبو زيد : حطت قومي ، وأحطت الحائط » . وأخذ منه صاحب التاج أنه يقال : أحاط الحائط : عمله . ذكر ذلك في مستدرك المادة . وهل الهمزة على هذا لتعدية الثلاثي ؟ لو كان الأمر كذلك لكان الفعل منعديا لاثنين ، فكان يقال : أحاط السور الحديقة أي جعل السور يحوطها . ولم نر هذا الاستعمال . وإذا صح هذا فالأصل أن يقال أحاط عناية بفلان أي جعل عنايته كالحائط لفلان ، والمستعمل : أحاط فلانا بعنايته .

٢ — وورد في نهج البلاغة في الحديث عن نعم الله تعالى : « ألبسكم الرياش ، وأرفع لكم المعاش ، وأحاط بكم الإحصاء » وقد استند الى هذه العبارة صاحب شفاء الغليل في إثبات أحاطه ، فقال : « أي جعل الإحصاء حائطاً حولكم ، يعني أحصى أفعالكم » . ويلاحظ أن العبارة في النسخة التي هي مذيبة بشرح الأستاذ الشيخ محمد عبده تحت عنوان : من خطبة له عجيبة : وأحاطكم بالإحصاء . وقال الشيخ : « أي جعل إحصاء أفعالكم والعلم بها عملاً كالسور لا تنفذون منه ، ولا تتمدون به ، ولا تشذ عنه شاذة » . وفي شرح نهج البلاغة ص ٨٧ من المجلد الثاني : « وقوله : وأحاط بكم الإحصاء يمكن أن ينصب الإحصاء على أنه مصدر فيه اللام ، والعامل فيه غير لفظه ، كقوله : (١) »

(١) موييت من الرجز هو :

يعجبه السعور والبرود والتمر حباً ماله مزيد

يمجبه السخون والبرود . ثم قال : حبا . . . ويجوز أن ينصب بأنه مفعول به ، ويكون ذلك على وجهين : أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا ، تقول : حاط فلان كرمه أى جعل عليه حائطاً ، فكانه جعل الإحصاء والمسد كالحائط المدار عليهم ، لأنهم لا يتعدونه ولا يخرجون عنه ، والثانى أن يكون من حاط الحمار عاتقه يحوطها بالواو أى جمعها ، فأدخل الهمزة ، فعلى ذلك كأنه عليه السلام جعل الإحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الأول ، أو جمعه ذا جمع بالاعتبار الثانى . ويمكن فيه وجه آخر ؛ وهو أن يكون الإحصاء مفعولا له . ودخول اللام فى المفعول له كثير كقوله (١) : والهل من تهول الهبور . فترى أن ماورد فى النهج لا يتعين جماله على التعدية إذ يصح أن يكون الإحصاء مفعولا مطلقا أو مفعولا له . على أن ما فى النهج لا يقطع بأنه كلام الامام ، حتى تقوم به الحجة .

٣ — جاء أحاط متعديا فى بعض الشعر والنثر غير ما سبق ؛ فقد سمع أعرابى أبا مكنون النحوى يقول فى دعائه :

« اللهم ومن أرادنا بسوء فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد على ترائب الولايد (٢) » .
وفى الامالى (٣) عن الأخفش سميح بن مسعدة أن بعض العرب اعتذر إلى بعض ملوكهم ، وكان من قوله له :

إني إليك - سلمت - كانت رحلتى أرجو الأثله وصفحك المبدولا
إن كنت ذنبى قد أحاط بحرمتى فأحط بذنبى عفوك المأمولا

محمد على النجار

المدرس بكلية اللغة العربية

(١) هو رجز أوردته سيبويه (١٨٥/١) هكذا :

تراب كل غائر جهور عانة وزغل الخبور

والهل من تهول الهبور

(٢) من بنية الوعاة ٣٩٥ (٣) ج ١ ص ٢٧١ طبعة ١٣٢٤

علوم القرآن

نحت هذا العنوان قرأت كلمة في مجلة الأزهر لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن حسين المدرس بمهد القاهرة وأعجبت بها أيماء إعجاب لأنها صادفت هوى في نفسي ، وقد كتبت فيها كلمات ونشرتها بإحدى المجلات ، كتبتها في القرآن وجمعه وتفسيره بالمأثور وبالرأي ، ولسكنها كلمات لا توفى بالحاجة ، وحسبك أنها كلمات في موضوع هو جيد خطير ، يحتاج الى همم متضافرة ، وقلوب مؤمنة بالفكرة إيماناً حقا ، إذن لاخرج للناس كتاب نافع ويكون مرجعاً لكل من يريد معرفة علوم القرآن ، وما أكثر علوم القرآن ، وقد كتب فيها الأقدمون وتوسعوا في الكتابة عنها الى أقصى حد استطاعوه .

والذي نريده ، ونقصده هو أن يستخرج من هذه الكتب الواسعة الأفق كتاب مستفيض ويكتب بلسان العصر ولغته ، ويقدم للناس بأسلوب رائع وعبارات سهلة أخاذة بالقلوب ، ليكون له الأثر الحمود . ولا ينهض بذلك فرد واحد أو أفراد كل فرد يعمل وحده ، إنما تقوم به جماعة متحدة من خيرة رجال الأزهر ، مجتمعون بصفة رسمية . هذا العمل لو تم يكون أجل ما يقدم باسم الثقافة الاسلامية ، ويكون النفع به عاما في المشارق والمغارب ، وإنه إذا ما قدم بأسلوب مبتكر وعبارات رائعة يكون الاقبال عليه عظيما والنفع به أجل وأعظم .

هذه الروح موجودة في نفوس المهيمنين على الأزهر ، فقد قامت حركة عظيمة حول ترجمة القرآن في سنة ١٩٣٦ واشتركت فملا وزارة المعارف مع الأزهر في الموضوع ، ووضع رقم في الميزانية العامة للدولة بخصوص ذلك ، وألفت اللجان ، ولكن الموضوع لسبب ما عطلت أسبابه وألغى من أساسه .

وقرر مجلس الأزهر الأعلى في جلسة ٤ مايو سنة ١٩٤٢ تأليف لجان يقومون بترجمة بعض أمهات الكتب الغربية الى اللغة العربية للانتفاع بها والرد على ما يكون حائدا فيها عن جادة الحق ، ولكن هذه الفكرة الحسنة لم تخرج من مهدها ولم تغادر خدرها . تفكير جميل ولكن الفكرة لم تغادر بيتها ولم يظهر لها في الوجود أثر .

وكان من أثر الفكرة الاولى أن طبعت مؤلفات متعددة في موضوع ترجمة القرآن من المجوزين والممانعين وانتفع الناس بما كتب في ذلك .

وكان من أثر الفكرة الثانية أن فضيلة الأستاذ الشيخ علي حسن عبد القادر المدرس

بكلية اللغة العربية ، والمختار الآن لأن يكون سكرتيراً للمعهد الثقافى الإسلامى بلندن ، قد عمد الى كتاب المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن لأحمد المستشرقين وترجمه الى اللغة العربية ، وهذا المستشرق كان أستاذاً بجامعة بودابست وهو اجنئس جولدا تسهر المولود فى ٢٢ يونيو سنة ١٨٥٠ ومات فى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢١ بمدينة بودابست ، وله المؤلفات العديدة فى الأبحاث الإسلامية ، وهذا الكتاب ألفه عند تمام السبعين من عمره وكان نتيجة لتجاربه فى البحوث الإسلامية ، وكان حديثه فى هذا الكتاب حول علوم القرآن من تفسير وحديث وعقائد وقراءات وتصوف وما الى ذلك ، وأخذ ذلك المستشرق يضرب فى كل ناحية بسهم ، وتكلم عن علوم القرآن كأنه نشأ نشأة إسلامية وتربى تربية أزهريّة .

ولكنه مهما كتب فانه يحاول أن ينصر فكرته وبوجه غايته .

وقد بين بعض ذلك الأستاذ المترجم فى كلمته التى عنوانها يقوله : تعقيب إجمالى . فهل يجوز للأزهر أن يترك الميدان للمبشرين بحولون فيه ويصولون فى الكتابة حول علوم القرآن ؟ ولماذا لا نجد سيفنا من غمده وننزل الميدان ونخوض الممارك حتى نكشف للناس القناع عن الحقائق المحجوبة فى عبارات الكتب التى ألقت لعصر غير عصرنا ، ولا يحل طلاسمها ويقل غامضها غير الأزهرى اللبى الذى يعرف وحده كيف يرفع الستار عنها ويقدمها للناس بعبارة مجلوة سافرة فى حسن وبهاء يفتتح بها كل من قرأها ويبحث عنها كل من سمع حديثها ؟ ! لو كان ذلك لسجل لنا التاريخ صحيفة غراء يقرأها جيل بعد جيل .

ووزارة المعارف قامت برسالة قيمة بطبع الكتب النافعة مع تهذيبها وتقديمها للناس كافة وانتفع بها المعلم والمتعلم .

ولماذا لا يتحرك الأزهر ويقوم بعمل نافع فى علوم القرآن ويتحدث عنه فى كل أطواره من وقت نزوله الى عهدنا هذا ؟ نعم قام ببعض هذا المجهود بعض الأفراد ولكن عمل الفرد فى هذا المعنى لا يكون كافياً ولا يعطى الموضوع حقه مما يستحق من أهمية وإكبار .

هذه كلمة حملنى عليها حب القرآن وحب الحديث عن علوم القرآن . وإنى أرسلها لعلها تصل الى الأسماع وتحفز النفوس نحو الموضوع وتحدث فى القلوب حديداً عليه حتى يبرز فى الوجود وينتفع به الناس فى الحاضر والمستقبل ما

عبد العزيز السهر موسى

واعظ القاهرة

عزة النفس الانسانية

خلق الله تعالى آدم أبا البشر من سلالة من طين ، وأمر الملائكة أن يخروا له ساجدين ، تعظيما لما حل في البشرية من تلك الروح الإلهية .

ولما كان بنو آدم من ذرية صاحب هذه النعمة الإلهية ، اختصهم عز شأنه من بين العوالم الملكوتية بتكريم رباني ، حكاة في كتابه على خاتم أنبيائه ، فقال تعالى : « ولقد كرّمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ولست أقصد بعظمة النفس الانسانية ، هذه العظمة التي يدعوها الناس الكبر ، بل أنشدتها العظمة التي يتجلى معها الانسان عظيما في نفسه ، شاعرا بقيمتها ، عالما بمقدارها ، يحمل بين جنبه نفساً أبية ، نزاعة الى المكارم ، وثابة الى معالي الأمور ، لا تزغرها العواصف الهوج . ومن أعجب الأمور أنك قد تظفر بهذا العظيم النفس في أوساط ، لا يدور بخلك أنك تنجبه ، قرب شجاع تراه في جسد ضئيل ، ورب كريم تحمله في بيت معدم ، ورب عفيف تشاهده في منبت سوء ، ورب أمين تبصره في طبقة الفقراء . وقد تجلوا من صاحب هذه النفس العظيمة بيتات ، لا تتسوم أنه يقل فيها ؛ فربما ألفت الجبان بين صفوف المحاربين ، والبخيل بين الموسرين ، والساقط بين المتدينين .

وكل من أوتى بسطة في العلم يشعر بأن نافخ الروح في أبنينا ، قد اقتضت حكمته الإلهية ، أن يرى أثر عظمة هذه الروح الربانية فينا ، فنحن العزة وقال في محكم كتابه : « والله العزة ورسوله وللمؤمنين » فجعل تعالى عزة المؤمنين ، من عزة الله ، وعزة رسوله ؛ بل جعل التساوي في الكرامة الآدمية شرطا من شروط كلمة السواء ، التي أمرنا أن نصارح بها إخواننا في الانسانية ، فقال تعالى : « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

ولو أمعنا النظر في الكتاب الحكيم ، لوجدنا البارئ المصور قد توجه بالدم لمن يتهاون في كرامته ، ويحط من عزة نفسه ، لا كبار غيره ، فهذا فرعون لما استخف قومه فأطاعوه ، قال فيهم « إنهم كانوا قوما فاسقين » وأشد من هذا قوله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » .

ولو خبرنا أحوال الناس لوجدنا في كثير من النفوس المتبرجة ، ضعفا يظهر لدى عينين حينما تمتحن في مواقف البلاء ، فيطير عنها وقارها ، فاذا بها لا تساوى مشقال حبة من خردل ؛ فهذا أبو مسلم الخراساني ، الذي أقمه دولة الأمويين ، وأقام دولة العباسيين ، قتل وهو يصيح « العفو العفو !! » على علم منه أنه لا سبيل إلى النجاة ، واسكن خاتمه نفسه ، فمال بها لحسنتها عن السماء ورفعتها ، والروح ونورانيتهما . ولا نغني بالسكتابة فيهم ، وإنما نبهض الصحف ببعض الفرر ، لتكون غذاء للنفوس ، وأسوة لطلبة العزة الصحيحة :

حكى صاحب الخزون ، عن مقاتل بن سليمان قال : دخلت على حماد بن سلمة ، فاذا ليس في البيت إلا حصير ، وهو جالس ، وفي يده مصحف يقرأ فيه ، وجراب فيه علمه ، ومطهرة يتوضأ منها ، فبينما أنا جالس إذ دق الباب ، فقال : يا صبية ، انظري من هذا ؟ فعادت قائلة رسول محمد بن سليمان (والى البصرة) إلى حماد بن سلمة ، فأذن له فدخل ، فاذا هو يحمل مكتوباً من الوالي لحامد ، مسطراً في أحد وجهيه : « من محمد بن سليمان والى البصرة ، إلى حماد ابن سلمة ، أما بعد ، فأنت صبحك الله بما صبح به أوليائه وأهل طاعته ، وقعت مسألة ، فأنتا نسألك عنها ، والسلام » . فقال يا صبية هل هي الدواة ، فأحضرتها ، وقال يا مقاتل اقلب الكتاب واكتب : « من حماد بن سلمة ، إلى محمد بن سليمان حاكم البصرة ، أما بعد ، فأنت صبحك الله بما صبح به أوليائه وأهل طاعته ، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً ، فان وقعت لك مسألة فأنتا ، وسل ما بدالك ؛ وإن أتيتني فلا تأتني بخيلك ورجلك ، فلا أنصحك ، ولا أنصح إلا نفسي ، والسلام » .

قال مقاتل رحمه الله : فبينما أنا جالس إذ دق الباب ، فقال حماد يا صبية اخرجي فانظري ، فخرجت وعادت قائلة : محمد بن سليمان ، فأذن له ، فدخل وجلس بين يديه .

فقال : ما تقول رحمتك الله ، في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى ، فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله ؟ قال : لا يفعل . فاني سمعت أنسا يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « إذا أراد الله أن يعذب عبداً من عباده في حياته ، وفقه لوصية جائرة »

فنهض الوالي بعد أن عرض على الشيخ مالا فلم يقبل .

وروى أبو الفرج الأصبهاني ، في كتابه الألفاني ، عن أبي العتاهية ، قال :

حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر ، فأدخلت السجن ، وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيداً ، ثم تمحل .

تعودت من الضر حتى ألفتها وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
وصيرني يأسى من الناس راجياً لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فقلت له : أعد يرحمك الله هذين البيتين . فقال لي : ويلك ، ما أسوأ أدبك ! دخلت على الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ، ولا توجهت توجه المبتلى للمبتلى ، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر ، لم نصبر عن استماعهما !

فقلت يا أخى : إني دهشت لهذه الحال . فقال : أنا والله أولى بالدهش والحيرة منك ، لأنك حبست في أن تقول شعرا به ارتفعت وبلغت ، فإذا قلت أمنت ، وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل ، أو أقتل دونه ، فأينا أحق بالدهش ؟ !

فقلت له : أنت والله أولى ، سيملك الله وكفاك ، قال فلا أبخل عليك إذا ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما ؛ ولم نلبث أن دخل الحرس فأخرجونا ؛ وقدم قبلى الى الرشيد ، فسأله عن أحمد بن عيسى ، فقال لا تسألنى عنه واصنع ما أنت صانع .

فأمر الرشيد بضرب عنقه ، ثم قال لي : أظنك قد ارتعت يا إسماعيل ؟ فقلت : دون ما رأيته تسيل منه النفوس يا أمير المؤمنين ! فقال : ردوه إلى محبسه ، فرددت ، وانتحلت هذين البيتين ، وزدت فيهما :

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه ، طال عتبي على الدهر
فله هذه النفوس العزيزة ، الطاهرة المكرمة ، التي صلت على حفظ أمانة الروح عندها ،
فماشت عزيزة ، وماتت كريمة ، ورجعت إلى بارئها راضية مرضية !

أحمد على منصور

من علماء التخصص بالأزهر

سحر الشعر

كان أبو لبيد البجلي وهو ابن اخت خالد بن عبد الله القسرى من المتمسكين بالآداب الدينية ، والمتورعين عن الصغريات ، فقدم عليه حمزة بن بيض بن عوف ليسكون في صحبته أيام ولايته على أصبهان . فقبل لأبى الوليد : إن مثل حمزة لا يصح أن يصحب منلك لأنه يحب اقتناء السكلاب ويعيل إلى اللهو . فبعث إليه بثلاثة آلاف درهم وأمره بالانصراف . فكشبه إليه :

يا ابن الوليد المرتجى سيده	ومن بجلى الحدث الحالك
سبيل معروفك منى على	بال فما بالى على بالك
حشو قيصى شاعر مفلق	والجود أمسى حشو سربالك
يلومك الناس على صحبتى	والمسك قد يستصحب الرامك
إن كنت لا تصحب إلا فتى	مثلك لن تؤتى بامثالك
إنى امرؤ حيث أريد الهوى	فعد عن جهلى بإسلامك
فاستدعاه أبو الوليد وقال له صدقت وأبقاه بطانته . والرامك نوع من المطر .	

بحث في البدع وموقف الاسلام منها

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني المدرس بكلية أصول الدين مؤلفات ممتعة في علوم القرآن ، قرأنا بعضها في هذه المجلة . ومما وقفنا عليه من مصنفاته الكتاب المذكور آنفاً ، وهو في علم البدع ، وليست تحفى خطورة هذا الموضوع في العهد الذى نحن فيه ، قال فضيلته في مقدمته :

« أما بعد فإن من أشد الأمور خطراً ، وأبلغها أثراً التلاعب بالدين ، وإضافة ما ليس فيه إليه ، وإحداث شيء فيه ليس منه » .

ثم نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . ثم قال فضيلته : وأخرج مسلم أيضاً أن رسول الله كان يقول في خطبته : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » .

وبعد أن ذكر فضيلته أن علماءنا المتقدمين أفردوا للبدع علماً خاصاً وأشبعوا الكلام فيها . ذكر أن ممن كتب فيها قديماً الإمام أبو شامة ، والإمام ابن الجوزى والإمام أبو بكر الطرطوشى الخ . ثم أفاض فيما هو بصدد إفاضة يستحق عليها أجره من الناس ، ونرجو أن يكون له عند الله خير على ذلك ثواب العلماء العاملين ، وجزاء الهداة المرشدين .

مذكرات في التوحيد

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المحترم الشيخ صالح موسى شرف المدرس بكلية أصول الدين ، وهو خاص لطلاب السنة النهائية ، وفيها كلام عن مسألة (خلق الأفعال) ، بين فيه مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة والاشاعرة والجهمية ، ومذاهب الأئمة أمام الحرمين والأسفرايينى والباقلاني ، وأفاض في الكلام عن كل منها بعلم غزير ، وتمحيص دقيق .

ثم تكلم عن مسألة الرزق ، وإرادة الخير والشر ، والهداية والضلال ، والصالح والأصلح وأحوال القبر ، والمعاد ، وحشر الأجساد ، وما بعد البعث ، والجنة والنار ، والكبيرة ، والعفو ، والعقاب ، والشفاعة ، والإيمان ، ووحدانية الإيمان ، والاسلام ، وكلها مسائل يستجر الخلاف فيها بين أهل السنة والمعتزلة والفلاسفة ، وقد مرد حجج كل فريق بدون تحيز ، مما لا بد من إمام علماء المسلمين به . فنشكر لفضيلة المؤلف هديته القيمة ، وننوه بدقته التحليلية للمواضيع التى طرقها ، والأقوال التى مردها ، مما يجعل لكتابه قيمة عظيمة في نظر المعاصرين الذين يودون الإلمام بالخلافات التى كانت بين أهل السنة وخصومهم .